وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

الموضوع :

# الأوضاع المعيشية و الصحية في الجزائر خلال العهد العثماني ( 1519 - 1830 م )

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر

إعداد الطالبات :

- سعاد قديم
- فاطمة بلغشوة

اشراف :

- عبد الرحمان قفاف

السنة الجامعية: 2015 / 2016

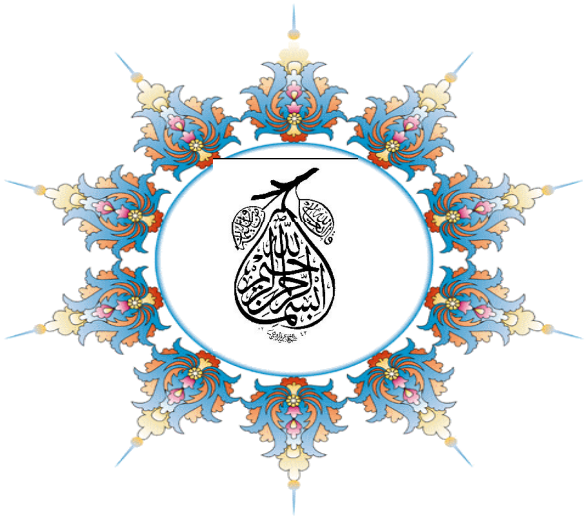

# شكر و عرفان

« رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين »

(سورة النمل الآية 19)

ا الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات من الأعمال الحمد لله رب العالمين قيُّوم السَّموات والأرض مانح العبد نعمة العقل و التفكير نحمده ونشكره على جميع نعمه ونسأله المزيد من فضله وكرمه

نشكر الله على إعانته وتوفيقه لنا في انجاز عملنا هذا المتواضع و الذي نتمنى أن يكون في المستوى

كما نتفضل بالشكر الجزيل إلى كل من ساندنا في انجاز هذا العمل

ونشكر كل من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر و عبارات من اسمى و أجلى العبارات في العلم الى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا العلم و النجاح الى اساتذتنا الكرام لاسيما أستاذنا و منير دربنا في مذكرتنا الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته الأستاذ : قفاف عبد الرحمان

كما لا ننسى بالشكر إلى كل من قدم لنا نصيحة أو تكرم علينا بمعلومة أو زودنا بوثائق و معلومات و كل من شجعنا و لو بكلمة أو ابتسامة و خاصة بالدعاء

فشكرا لكل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد

# إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

( قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون )

صدق الله العظيم

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة إلى نبي الرحمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار ، إلى من علمني العطاء بدون انتظار ، إلى من احمل اسمه بكل افتخار والدي العزيز

إلى معنى الحب إلى معنى الحنان و التفاني ، إلى سيمة الحياة و سر الوجود ، إلى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي أمي الحبيبة

إلى من به أكبر و عليه اعتمد ، إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي ، إلى من أرى التفاؤل بعينه والسعادة في ضحكته ، إلى من دفعني الى العلم و به ازداد افتخار زوجي الغالي " قدور قمري "

إلى مثل الأبوة الأعلى و إلى رمز الحنان إلى من فتحا لي ذراعيهما و احتواني بكل حب و حنان ، ومهدوا الطريق امامي للوصول إلى ذروة العلم والدي زوجي الكريمين

إلى من هم أقرب لي من روحي و من شاركوني حضن الأم و بهم أستمد عزتي و اصراري ، إلى روضة الحب التي تنير أزكى الأزهار أخوتي و أخواتي

إلى توأم روحي و رفيقة دربي صاحبة القلب الطيب و النوايا الصادقة ، إلى من رافقتني في حصاد ثمرة جهدنا حبيبة قلبي فاطنة بلغشوة و عائلتها الكريمة

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي ، إلى من تحلو بالإخاء و تميزوا بالوفاء و العطاء ، إلى ينابيع الصدق الصافي ، إلى من كانوا معي على طريق النجاح صديقاتي

سعاد

إلى إمام الذاكرين وقدوة المالكين ومعلم المعلمين سيدنا محمد ﷺ

إلى منبع الحب والحنان التي غمرتني بحبها ورعتني بعطفها وحنانها، إلى من دعواتها خطتني ومهدت طريقي أين ما حللت فكانت نبراس حياتي، إلى من تطلبها عيني وهي في سوادها و يشتاقها قلبي وهي بين أضلعي، وإلى من تملك الجنة تحت أقدامها ويعجز اللسان عن شكرها، سر وجودي وضياء دربي وبلسم قلبي أمي الحنونة حورية حفظها الله ورعاها.

إلى الذي زرع في نفسي بذور الشموخ والكبرياء وعلمني كيف أواجه المصاعب ،عنوان الصمود ورمز الكفاح والتضحية ،إلى الذي لولاه لما وصلت إلى ما أنا عليه الآن ،إلى من كان لي نورا في ليلة حالكة الظلمة بيتي محمد أطال الله في عمره وجعله لنا ذخرا وضياء.

إلى أمي الثانية العزيزة على قلبي كثيرا و التي لن أنسى فضلها أمي و جدتي الحبيبة عافاها الله في صحتها

إلى من قاست روحه الزكية ومازلت لذكراه وفية جدي الغالي ... رحمه الله.

إلى سندي ومصدر قوتي، إلى ملائكة السعادة تحمل ابتسامة الأزهار، إلى الركائز أتكئ عليها والإدراج التي حققت حلمي أخواتي ،حرة وزوجها ، سارة وزوجها، فاطمة وزوجها ،صبيرة ،وبهجة البيت الشطور: عطاء الله إلى من لونوا البيت بلون الشغب والفرح الأحفاد :عطيتو،مريم ،ندى ،يوسف.

إلى خالاتي وأخوالي وعماتي وأعمامي وكل الأهل و الأقارب

إلى من حزنت لحزني وفرحت لفرحتي إلى من قاسمتني الحياة الجامعية إلى الأخت التي لم تلدها أمي،إلى التي لن أنساها مدى الحياة سعاد قديم وخاصة عائلتها الغالية

إلى من أحس بالأمان في وجودهم معي تصديقاتي : عائشة ،مريم ،أميرة،فاطنة،شويخة،أسيا،إيمان

إلى كل طلبة التاريخ دفعة 2016

كما اهدي هذا إلى كل من ساندني في هذا العمل من قريب أو من بعيد

فاطمة

# مقدمة

لقد شهدت الجزائر في الفترة العثمانية كغيرها من الأقاليم الجغرافية الأخرى أزمات و كوارث عديدة خاصة في المجال الصحي و المعيشي عرفت على إثرها سلسلة من التحولات الكبرى والانعطافات الحاسمة في مسارها التاريخي فكانت أزمتا الوباء و الجوع من أشد البلايا واقعا على المجتمع الجزائري خاصة أنها قد أفرزت واقعا مريرا صعب على المستوى المعيشي في تلك الفترة ، و هذا ما أدى إلى سوء الأحوال الصحية و المعيشية في الجزائر خلال العهد العثماني .

فموضوع الأحوال الصحية و المعيشية يندرج ضمن ما يسمى بالتأريخ للأزمة و التاريخ الاجتماعي كنمط جديد ظهر مع التطور الحاصل الذي شهدته الكتابة التاريخية ، فتعددت اهتماماتها لتشمل التاريخ الاجتماعي إضافة إلى تاريخ الأزمات و كذا التاريخ الاقتصادي و الطبيعي و تاريخ الأمراض والعلوم و تاريخ البنى و الذهنيات و المهمشين ، فأعطت للتاريخ صبغة أكثر شمولية و حررته من قيود الرؤى التقليدية التي كانت مسيطرة عليه ، و التي تقوم أساسا على التأريخ للطبقة الحاكمة وعلى تمجيد المعارك و البطولات و سير أصحابها .

و تعود دراستنا لأوضاع الجزائر الصحية و المعيشية في الفترة العثمانية لكونها مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر الحديث و مرحلة انتقالية إلى مرحلة جديدة متمثلة في أنظمة إدارية و سياسية و اقتصادية وحتى اجتماعية جديدة .

أما الدوافع التي كانت من وراء اختيارنا لدراسة هذا الموضوع فهي دوافع ذاتية و أخرى موضوعية فالدوافع الذاتية تمثلت في :

- ميولنا الشخصي إلى دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية و رغبتنا في البحث و قراءة كل ما كتب حول تلك الفترة خاصة فيما يمس الجانب الصحي و المعيشي للمجتمع الجزائري .
- الرغبة الملحة على معرفة أحوال الجزائر العثمانية سواء صحية كانت أو معيشية في فترة اعتبرت فيها الجزائر أهم إيالة عثمانية في شمال إفريقيا.

أما بالنسبة للدوافع الموضوعية فكانت كما يلي :

- تقديم دراسة متكاملة حول الموضوع الذي أخذ حيزا كبيرا من الجدل لدى العديد من المؤرخين و الباحثين سواء أتراك أو أوربيين أو جزائريين المحدثين منهم و القدامى .

- ❖ البحث في الوضع الصحي و نوع الترابط الذي كان بينه و بين الوضع المعيشي في الجزائر في تلك الفترة .
- ❖ تقديم صورة صادقة و موضوعية عن الأحوال الصحية و المعيشية في الجزائر من خلال عرض الأزمات و الكوارث التي مستها كالأوبئة أو مجاعات .

و فيما يخص الإطار الزماني لموضوع بحثنا هذا فقد غطى فترة زمنية تمتد من سنة 1519 م إلى 1830 م و هي فترة الحكم العثماني للجزائر ، و إن بدت هذه الفترة طويلة للوهلة الأولى فإننا نعلل ذلك بطبيعة الموضوع الذي يستلزم منا إبراز العوامل الصحية و الطبيعية و العوامل المعيشية والاجتماعية عبر دراسة وضع الإيالة الجزائرية خاصة الصحي و المعيشي من بداية ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية حتى سنة 1830 م .

و من خلال ما سبق نتوصل إلى أن موضوع الأحوال الصحية و المعيشية يطرح إشكالات عديدة كونه يعد من المواضيع الحساسة التي لها تأثير مباشر على حياة أفراد مجتمع الجزائر العثمانية و لقد تمحورت الإشكالية التي بنينا عليها موضوعنا حول الاوضاع المعيشية و الصحية في الجزائر خلال العهد العثماني و هذا ما أدى بنا إلى طرح جملة من الإشكالات نصنفها كالأتي :

- ❖ كيف كانت الأوضاع الصحية التي عاشتها البلاد في تلك الفترة ؟
- ❖ ما هي أهم الأوبئة و الأمراض التي فتكت بالسكان ؟
- ❖ كيف كانت الأوضاع المعيشية التي عاشتها البلاد في العهد العثماني ؟
- ❖ ما هي العوامل المتسببة في ظهور المجاعات بالبلاد ؟
- ❖ ما هي أهم المجاعات التي مست البلاد في تلك الفترة و انعكاساتها على الوضع الديمغرافي ؟

و من أجل الإجابة على كل هذه التساؤلات اعتمدنا في هذا البحث على منهجية علمية قائمة على المنهج التاريخي الوصفي ، و قد اتبعنا في ذلك خطة منهجية قمنا برصدها بناءا على ما توفر لنا من مادة مصدرية كانت أو مرجعية شملت مقدمة و مدخل و ثلاث فصول و خاتمة و هي كالأتي :
مقدمة : أدرجنا فيها أهمية الموضوع و الأسباب الكامنة وراء اختيارنا له و طرح بعض الإشكالات الأساسية المراد الإجابة عنها خلال هذه الدراسة و المنهج و الخطة المتبعة لذلك ثم عرض لأهم المصادر التي اعتمدنا عليها .

أما المدخل فعنوناه بأوضاع الجزائر قبيل التواجد العثماني و تطرقنا فيه إلى أوضاع الجزائر قبيل مجيء العثمانيين أي في الفترة ما قبل 1519 م و التي أبرزنا فيها أهم نقاط التي تمحورت في الوضع الاقتصادي و السياسي و الوضع الاجتماعي والصحي .

أما الفصل الأول فكان بعنوان الحالة الصحية في الجزائر خلال العهد العثماني ،و تطرقنا فيه إلى الأوبئة التي تعرضت لها الجزائر و مصادر هذه الأوبئة و الأمراض هذا إضافة إلى انعكاساتها على أوضاع الجزائر في العهد العثماني حيث كان لها أثر سلبي على مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية كما تطرقنا لدراسة الهياكل الصحية المتمثلة في الأطباء و المعرفة الطبية و مختلف الأدوية و المستشفيات التي كانت متواجدة في تلك الفترة .

و الفصل الثاني عنوناه بالأوضاع المعيشية للجزائر خلال العهد العثماني ، و قد تطرقنا فيه إلى أوضاع الجزائر الاقتصادية التي شملت الزراعة و الصناعة و التجارة هذا إضافة إلى الأوضاع الاجتماعية و التي تضمنت عادات و تقاليد المجتمع الجزائري و كذا رصد المستوى المعيشي للجزائر مع عرض بعض أجور الفئات العاملة و إبراز أهم الضرائب .

أما الفصل الثالث و هو آخر الفصول فقد خصصناه للمجاعات في الجزائر عواملها وعواقبها ، و رصدنا فيه مختلف العوامل المسببة للمجاعات الطبيعية منها و البشرية و التي تمثلت في مختلف الكوارث الطبيعية كزحف الجراد و ظهور الجفاف و حدوث الفيضانات و الزلازل و الحرائق أما العوامل البشرية فتمثلت في الاضرابات الداخلية التي تمثلت في ظهور الثورات و الفتن بين القبائل و كذا الاضطرابات الخارجية المتمثلة في الحروب و الحملات التي حدثت في المجتمع الجزائري مما نتج عنه ظهور المجاعات و تدني مستوى المعيشة بالإضافة إلى أهم المجاعات التي حدثت في الجزائر خلال العهد العثماني التي كانت تظهر من حين إلى آخر و كذا انعكاسات المجاعة على الوضع الديمغرافي التي شملت الهجرة و الوفيات .

أما الخاتمة فكانت حوصلة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات التي توصلنا لها من خلال هذه الدراسة .

و قد تعددت المصادر و تنوعت المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا بين عربية و أجنبية وتباينت طريقة عرضها للأحداث التاريخية الخاصة بالأحوال الصحية و الأوضاع المعيشية للجزائر ومن

بين هذه المصادر استفدنا من الأخبار التاريخية الواردة في مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر لأحمد الشريف الزهار و التي تعتبر من أهم المصادر المحلية العربية التي تكلمت عن الأوبئة و مصادرها و عن الضرائب المفروضة على السكان كما دون مختلف الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الجزائر خلال العهد العثماني و في السياق نفسه أحطنا تلك الدراسة بمصادر أخرى منها ما هو للمؤرخ محمد صالح العنتري الذي ترك زخما تاريخيا و فكريا عن الأحوال الإدارية و الاقتصادية في الجزائر ، هذا إلى جانب ما أورده صاحب كتاب المرآة حمدان بن عثمان خوجة من معطيات تاريخية التي حملت مظاهر عدة عن الحياة الاجتماعية

أما عن جملة المراجع فنذكر منها الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد التركي لبلحميسي مولاي بالإضافة إلى ما أورده الدكتور ناصر الدين سعيدوني من معطيات تاريخية عن الهياكل الإدارية العثمانية و موظفيها و أجورهم المختلفة في المدن الحضارية و الأرياف في كتابة النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 إلى 1830 م ، و كذا إلى مضامين كتابه المعنون بورقات جزائرية الذي شمل مختلف الأمراض و الأوبئة بالإضافة إلى تطرقه إلى الحياة الاقتصادية و الكوارث الطبيعية ،زد على ما سبق كتاب الجزائر في عهد رياس البحر لسبنسر وليام ، أما عن جملة المراجع الأجنبية فنذكر من بينها : Shaw : voyage dans la régence d'Alger

بإضافة إلى HAEDO : Histoire des rois d'Alger

و في الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا و لو بإعطاء لمحة و صورة عامة عن الأوضاع الصحية والمعيشية للجزائر خلال العهد العثماني .

# مدخل

إن الجزائر تعد من الدول التي تتمتع بموقع استراتيجي هام ، فهي تطل على البحر المتوسط و الأمم المشكلة لعالمه من جهة الشمال ، و تضرب في أعماق الصحراء الكبرى ، و تحاذي من جهتها الجنوبية عالما آخر من الأمم الإفريقية ، و تحتضنها من جهتي الشرق و الغرب بقية دول المغاربية ، مما جعلها همزة وصل بين القارتين الإفريقية و الأوربية و قلب المغرب الكبير ، و قد سمحت لها حدودها المشتركة مع عدد من الدول الإفريقية بأن تكون معبرا رئيسيا نحو كل الاتجاهات ، و هذا الموقع ساعد الجزائر على أن تكون عبر العصور محورا تتقاطع فيه الحضارات المختلفة ، و هذا ما يفسر التنوع البشري و الثراء الثقافي الذي تزخر به .

و حتى مجيء الأتراك فإن الظاهرة الأساسية لجغرافية الجزائر كانت ذلك التجمع الجزري الصغير التي تزود المدينة بمأوى صغير و لكنه واق فيما بعد يعطيه من حماية ضد الزوابع الواردة على الخليج المفتوح ، و عرفت في اللغة التركية حسب وصف الجغرافيين سزائير أي مجموعة الجزر ، و هناك بعض المصادر تشير أن ارتباط اسم الجزائر راجع إلى ايكسيوم و هي تعني المدينة المصدرة للحبوب في العهد الروماني و قد أطلق القدامى من أهل البلاد لفظ أرغيل على مدينة الجزائر و تعني المكان المستور العميق..[1]

وصفت الجزائر على أنها مركز تجاري مهم و مزدهر في القرن الثاني عشر و في نفس القرن ذكر العبدري أنها مدينة محرومة من العلم و أنه من الصعب مقابلة أناس مثقفين ، و لكن في القرن الخامس عشر فإن الإشعاع الفكري برز و بشكل كبير و ذلك مع ظهور سيدي عبد الرحمن الثعالبي*.[2]

---

[1] وليام سبنسر : **الجزائر في عهد رياس البحر** ، تر : عبد القادر زياد ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، ص 08 .

[2] كورين شوفاليه : **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510 –1541م )** ، تر :جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 ، ص 09 .

*عبد الرحمن الثعالبي : تشير أقوال المؤرخين أن عبد الرحمن الثعالبي هو المؤسس الثاني للمدينة ، و كان قد أسسها بلوغين بن زيوي الصنهاجي و هو أحد الضباط الفاطمين بالمغرب (تونس) و الذي عمل على تقوية المدينة ليضمن مراقبة المواصلات ، وازدهرت الجزائر أكثر على عهد المرابطين أين شجعوا الهندسة المعمارية المعبرة عن المذهب المالكي ، مثل المسجد الكبير و قاعة صلاته و غيرها من المنشأة المهمة , و تعتبر الثعالبة فرع المكايل المنتشرة في سهل متيجة بموافقة بني ملكيش و ذلك في القرن الحادي عشر تقريبا ، و حكمتها جمهوريات صغيرة تحت إمرة فئة برجوازية تدعى الأوليغاريس . أنظر : وليام سبنسر : المرجع السابق ، ص 16 .

و تعد الجزائر من الدول التي عانت الكثير من الناحية الصحية والمعيشية في الفترة الحديثة خاصة قبل التواجد العثماني بسبب موقعها الجغرافي و شساعة مساحتها حيث كان على حكامها من أجل حماية حدودها و تحقيق الأمن و الحفاظ على الاستقرار أن يواجهوا في أحيان كثيرة الأخطار الخارجية و الاضطرابات الداخلية ، و قد كلفهم ذلك أموالا طائلة و خسائر بشرية معتبرة و كان ذلك على حساب التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية للبلاد .

و يعد القرن الثالث عشر الميلادي ، بداية للتجزؤ و الانقسام بين الكيانات السياسية التي ورثت الحكم عن إمبراطورية الموحدين ، و هي دولة الحفصيين في تونس و المرينيين في المغرب الأقصى و الزيانيين في تلمسان و يضاف إلى ذلك المجموعات المستقلة من الزعمات المتناثرة هنا وهناك و التي كانت تحتفظ بحيادها أحيانا أو تخضع لإدارة أقوى من الدويلات السابقة .

و قد بلغ هذا التضعضع و التفسخ السياسي مداه في أواخر القرن الخامس عشر ، بازدياد حدة النزاع و التنافس بين ملوك هذه الدويلات من جهة و بين الإمارات البربرية الصغيرة من جهة أخرى ، و تجسد هذا التنافس خاصة حول مدينة تلمسان و التي تصارع عليها المرينيين و الحفصيين مدة قرنين من الزمن ، لهذا كثيرا ما اضطر الزيانيون إما إلى الخضوع للجبهة المنتصرة أو الفرار إلى الصحراء .

و قد كان لسقوط آخر عاصمة للعرب المسلمين في الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر أن هاجرت أعداد كبيرة من المسلمين إلى بلاد المغرب العربي فرارا من المتابعات الاسبانية و حملات التفتيش التي تزعمتها الكنيسة المسيحية , و قد استقرت هذه الجاليات في أغلب المدن الساحلية المغربية و عملت على تشجيع القرصنة ، للقيام بعمليات انتقامية ضد الإسبان .[1]

و إذا كانت كل من تونس و المغرب الأقصى قد عرفتا نوعا من الاستقرار ، فإن الجزائر كان يغلب عليها الطابع الريفي و البدوي ما عدا مدينة تلمسان فإن باقي الحواضر والمدن كان يسودها طابع البدوي ، رغم أن هذا التدهور كان سمة عامة للحواضر الإسلامية في شمال إفريقيا في القرن السادس عشر إلا أنه في الجزائر كان أوضح .[2]

---

[1] محمد خير فارس : **تاريخ الجزائر الحديث ( من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي )** ، مكتبة دار الشرق ، ط 2 , بيروت , 1979 , ص 5 – 6 .

[2] ابراهيم حسن شحاته : **وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب** ، (قراءة تاريخية عبر العلاقات – المغرب الدولة في ق 16) دار الثقافة ، الدار البيضاء , 1979 , ص 45 .

كانت الجزائر من الناحية الغربية تابعة لدولة بني زيان و عاصمتهم مدينة تلمسان ، أما من الناحية الشرقية فكانت تابعة للحفصيين إذ تضم مناطق قسنطينة و عنابة و بجاية و بسكرة و توقرت ، أما الجزء الأوسط فقد كان عبارة عن منطقة عازلة بين الحفصيين و المرينيين و الزيانيين حيث اشتد الصراع عليها .[1]

و كانت النتيجة أن كثرت الحروب وسادت الفوضى و عمت اللصوصية ، و افتقد الأمن و تفشى الاستنجاد بالأجانب ، بعكس مدنه الساحلية التي عرفت نوعا من الازدهار و الاستقرار مثل مدينة الجزائر ، بجاية ، تنس بسبب الغنائم التي كانت تدرها عليها أعمال القرصنة البحرية الموجهة ضد السفن الإسبانية و الأوربية و التي تزعمتها الجاليات الأندلسية المقيمة في هذه المدن كإجراء انتقامي ضد الإسبان .[2]

فاتجهت نية الإسبان إلى مدّ سيطرتهم و نفوذهم على السواحل الإفريقية ، و كانت الظروف التي تعيشها المنطقة عاملا مشجعا و مبررا قويا لإسبانيا لأن تبحث لنفسها عن موطن قدم لها لتأمين الاتصال بينها و بين أملاكها في الجزر الايطالية ، و للقضاء على هجمات المغاربة التي ازدادت حدّتها على السواحل الإسبانية لنجدة البقية المتبقية من إخوانهم المسلمين زيادة على العوامل الدينية التي كانت وراء هذا المشروع الإسباني و الذي ترجم في تنفيذ وصية تركتها الملكة إيزابيلا لابنتها وزوجها بـــــــــــ :« ... إطاعة وصيا ، أمنا المقدسة الكنيسة ... و أن يكونا – ابنتها و زوجها – حماتها و المدافعين عنها ... ألا يكفا عن متابعة غزو افريقية .. » .[3] فقد تعددت الأطراف المتنافسة في مياه المتوسط فكانت إسبانيا تتدخل في شؤون الجزائر أو على الأقل في كامل المغرب الإسلامي لمواصلة الحرب ضد المسلمين بدءا من الأندلس و كان لضعف دولة بني زيان تأثير سيئ على أوضاع الجزائر ، فقد انقسمت على نفسها لإمارات صغيرة متفككة متناحرة كإمارة كوكو *بالقبائل ، نضيف إليها

---

[1] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 52 .

[2] عبد الجليل التميمي : **الخلفية الدينية للصراع الاسباني – العثماني على الإيالات المغربية في القرن السادس عشر** – المجلة التاريخية المغربية – العدد 11/10 , 1978 , ص 175 .

[3] محمد الطيب عقاب : **الأخوان عروج و خير الدين** ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1985 م ، ص 07 .

*إمارة كوكو : و هي إحدى الفروع المنفصلة عن إمارة الدولة الزيانية ، و كان يحكمها رجل اسمه ابن القاضي و هي القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى ، أما القسم الشرقي من تلك الجبال فكان يحكمها عبد العزيز الحفصي و عاصمتها قلعة بني عباس وكان النزاع قائما بين الإمارتين لمدة زمنية طويلة . أنظر وليام سبنسر : المرجع السابق ، ص 26 .

إمارة بني حفص بقسنطينة و بني جلاب بتوقرت و واد ريغ ، و إمارة الثعالبة *بجزائر بني مزغنة ، وشجع الإسبان بشكل كبير هذا الانحلال و الضعف ، و ذلك لتسهل عليه مهمة غزو موانئ و مدن الساحل المتوسطي بشكل خاص و المغرب العربي بشكل عام .[1]

و في السنوات الأولى من القرن السادس عشر بدأ الغزو الإسباني للجزائر ، و نجح الإسبان في احتلال عدة موانئ مثل ( المرسى الكبير ) سنة 1505 م و وهران 1509 م ، بجاية 1510 م ، لكن تحت ضغط الظروف التي كانت تعيشها الإمبراطورية الاسبانية فقد اكتفت هذه الأخيرة منذ حكم الملك ( فرديناند ) بنظام الاحتلال المحدود و الذي يخفف من نفقاتها المالية ، فحولت المراكز المحتلة إلى مراكز محصنة ذات أسوار عظيمة تقيم فيها الحاميات الإسبانية .

و لقد اكتسب البحر الأبيض المتوسط و حتى هذه الفترة من القرن 15 م ، صبغة ترعرعت على ضفاف حضارات راقية أمازغية و يونانية و فينيقية و رومانية و ازدهر أكثر بالحضارة الإسلامية و في كونه طريقا عالميا للتجارة و العبور الدوليين بين أجزاء العالم القديم و الوسيط مع العالم الجديد في العصر الحديث ، و برزت على ضفافه عدة قوى سياسية تركزت بصورة خاصة في جنوب غرب أوربا و شمال إفريقيا و شرق المتوسط و اشتد الصراع بينهما .[2]

بالإضافة إلى ما سبق فإن الفئات الاجتماعية التي كانت تعيش بالجزائر قبيل التواجد العثماني لم تكن في المستوى المعيشي نفسه فهي تختلف بحسب المكانة الاجتماعية و طبقة النشاطات الاقتصادية التي تمارسها كل فئة .

و قد مرت الجزائر بظروف اقتصادية صعبة أدت لحدوث مجاعات في سنوات مختلفة هذا أثر على المستوى المعيشي للسكان ، فنذكر من بين المجاعات التي حدثت في هذه الفترة مجاعة 1406 م ، ومجاعة عام 1484 م ، و غيرها من المجاعات التي كانت سببها الكوارث الطبيعية و الحروب والحصارات خاصة الإسبانية كما سبق الذكر [3] , إضافة إلى الأوضاع الصحية المتردية من أمراض وأوبئة منها وباء الطاعون الذي انتشر عام 1449 – 1450 م و الذي سمي بالطاعون الأسود وبعد مرور أربع سنوات عاود الطاعون فتكه بالبلاد مخلف المزيد من الضحايا .

---

[1] يحي بوعزيز : **الموجز في تاريخ الجزائر** , ج 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 254 – 255 .

[2] يحي بوعزيز :**مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999 ، ص 10 .

[3] عبد العزيز الفلالي : **تلمسان في العهد الزياني** ، ج 1 ، دار المعارف للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2002 ، ص 82 .

لا ريب أن هذه المجاعات و الأوبئة قد خلفت عددا كبيرا من الضحايا إلا أنه يصعب تقديم رقم عن عددهم في غياب إحصائيات دقيقة ، فالمصادر تقف عند حدود أدبيات وصفية عن الخسائر البشرية ضمن عبارات« و كم هلكت فيها من أمم » ، و « مات منهم خلق كثير » ، أو « كان الهالك بالجوع أكثر من الهالك بالقتل » ، أو « حصد السكان بدون استثناء » ، و رغم طابعها الأدبي فإنها تؤكد حقيقة أن هذه الكوارث كانت شديدة و أنها أودت بحياة عدد كبير من الناس ، ولا شك إن الضعفاء كانوا أكثر ضحايا هذه المجاعات و الأوبئة لاختصاص السبب بهم ، إلا أن الفئة الميسورة لم تكن بمنأى على الأقل من ضربات هذه الكوارث ، فقد أتى وباء الطاعون 1446 م على العامة و الأسياد و الشيوخ و أصحاب القصور و الجاه بدون تمييز و هو ما أكده ابن خلدون بقوله : « و لم أزل منذ نشأت و ناهزت مكبا في تحصيل العلم حريصا في اقتناء الفضائل إلى أن كان الطاعون الجارف و ذهب الأعيان و الصدور و جميع المشيخة... » .[1]

هذه لمحة تاريخية عن الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر في أواخر القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر ، أي قبل بداية مجيء الأتراك العثمانيين الذين بدأ نجمهم يسطع بأنباء انتصاراتهم في آسيا و أوربا و التي هزت مشاعر العرب و المسلمين , و منذ بداية القرن السادس عشر توجهوا نحو البلاد العربية فضموا سورية و مصر ( 1516 – 1517 م ) و دخلت الحجاز في طاعتهم , و هذه التطورات السياسية الجديدة سوف تلفت أنظار سكان شمالي إفريقيا إليهم , فأمام طلبات النجدة والاستغاثة من منكوبي الأندلس التي كانت ترد الآستانة في شكل رسائل تحث الأتراك و تلح عليهم باسم الدين و تقديم العون و المساعدة ، و بالتالي لم يكن أمام الأتراك أن يسكتوا عن الأعمال الوحشية التي كان يتعرض لها المسلمون ، لهذا قاموا بتشجيع كل البحارة المغامرين و مدّهم بالعُدَّة والعتاد و تحريضهم على القيام بهجمات ضد السفن المسيحية عامة و الاسبانية خاصة .[2]

و هكذا فإن مجيء العثمانيين للجزائر كان في وقته، و اعتبر عند البعض، نجدة أنقذت البلاد المغربية من السقوط في أيدي الاستعمار الأوروبي الذي كانت تمثله إسبانيا . فجاء العثمانيون فخلقوا من تلك الكنتونات دولة ذات حدود سياسية واضحة المعالم و أنشئوا حكومة مركزية ، و لهذا عُدَّ ظهور

---

[1] ابن خلدون : **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر وم ن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، ج 7 ، مجلد 6 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1983 ، ص 398 .

[2] ليلى صباغ : **ثورة مسلمي غرناطة عام 1976 أواخر عام 1568 و الدولة العثمانية** ، مجلة الأصالة العدد (27) , 1975 , ص 175 .

الجزائر كوحدة سياسية و جغرافية في العهد العثماني حدثا سياسيا حاسما في تاريخ تكوين الدولة الجزائرية .[1]

[1] صلاح العقاد : **المغرب في بداية العصور الحديثة** ، دار المعارف ، مصر , 1962 / 1963 م ، ص 49 .

# الفصل الثاني

أولا : الأوضاع الاقتصادية

ثانيا : الأوضاع الاجتماعية

ثالثا : مستوى المعيشة

**أولا : الحياة الاقتصادية**

**1. المجال الزراعي :**

كان الاقتصاد الجزائري يعتمد أساسا على الزراعة ، لهذا فإن معظم السكان كانوا يقطنون في الأرياف وكانت معيشتهم تعتمد على الزراعة و تربية الحيوانات و قد ساعدهم على ذلك اتساع رقعة الأراضي الزراعية و خصوبة التربة و اعتدال المناخ ،كما أن تنوع التضاريس قد أدى إلى تنوع الغطاء النباتي و المحاصيل الزراعية ،وكان نشاط المجتمع الجزائري تحدده طبيعة تضاريس البلاد التي يمكن تقسيمها من الشمال إلى الجنوب إلى ثلاث مناطق متباينة ، و هي المنطقة الشمالية ، و منطقة الهضاب العليا أو الوسطى ، و المنطقة الجنوبية أو الصحراوية .[1]

و بالنسبة للزراعة فكانت السهول التلية أكثرها إنتاجا و رعيا ما عدا سهول وهران التي كانت مسرحا للحروب ضد الإسبان ، لكن بعد طرد الإسبان منها حلت قبائل الدوائر والمخزن المتحالفة مع سلطة الحكم العثماني و استقرت بها و كان سهل تلمسان ينتج القمح و الزيت وسهل غريس الحدودي مع المملكة المغربية يشتهر بالشمع أما سهول مستغانم فطغت عليها زراعة القطن و الأرز في حين اشتهرت أحواز دار السلطان بنمط إنتاجي زراعي يؤمن احتياجات أسواق مدينة الجزائر بما تملكه من ملكيات مستأجرة للقبائل التي تضع ثروتها الحيوانية و الزراعية في خدمة أغا العرب .[2]

المحاصيل الزراعية : لقد ساعد تنوع التضاريس و المناخ و خصوبة التربة على وفرة كل أنواع المحاصيل الزراعية فكانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل الزراعية ، و كانت كمية كبيرة من القمح تنتجها سهول قسنطينة و متيجة و عنابة و معسكر و التيطري ، إلا أن أجوده كان ينتج في منطقة تلمسان ، و قد ذكرت المصادر أن القمح الجزائري كان ممتازا ينافس محاصيل الدول الأجنبية في الأسواق العالمية . و يؤكد القنصل الأمريكي في الجزائر السيد شالر ( shaler ) ذلك بقوله :« وهذا القمح مشهور في الأسواق الإيطالية و يفضله التجار على جميع أنواع القمح الأخرى بسبب جودته ، و قد كانت تصنع منه المكارونة و غيرها من العجائن » .[3]

---

[1] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 58 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية** ، المرجع السابق ، ص 399 .

[3] محمد صالح فركوس : **الحاج أحمد باي قسنطينة ( 1826 – 1850)** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 ، ص37 .

و قد اعتنى المجتمع الجزائري عامة بزراعة الحبوب لكونها أساس معيشته فلا نجد منطقة في السهول و الجبال تخلو من زراعة الحبوب فباتت كل السهول الممتدة من تلمسان غربا إلى عنابة شرقا مرورا بسهول وهران و معسكر و شلف و مليانة و غيرها تنتشر فيها زراعة القمح و الشعير ، و بالرغم من أن العثمانيين لم يولوا اهتماما كبير بالزراعة و رغم الطابع البدائي الغالب عليها إلا أنها كانت تغطي حاجيات السكان باستثناء أوقات الجفاف وحملات الجراد ، أما من حيث الإنتاج الزراعي فكل منطقة اختصت بمنتوج معين وذلك تبعا للظروف الطبيعية و البشرية و من أهم المحاصيل الزراعية نجد الحبوب التي تتركز بشكل كبير في منطقة الشرق الجزائري و من أهم الحبوب بعد القمح الأرز هذا الأخير حسب المصادر إنه كان من النوع الرفيع [1]، و الخضر و الفواكه و زراعة القطن بمستغانم والتبغ بالقرب من الجزائر ، أما الأشجار المثمرة ارتبطت بالمناطق الجبلية خاصة منطقة القبائل و المدية و غيرها .[2]

[1] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 95 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ( 1800 – 1830 )** ، المرجع السابق ، ص 32 .

## 2. الحرف :

عرف المجتمع الجزائري في العهد العثماني صناعة تقليدية ،كانت تستمد خامتها الأولية في أساسها من الإنتاج الزراعي والحيواني ،وقد أدى تنوع المواد الخام إلى تنوع الإنتاج ، فكانت لكل منطقة صناعتها الخاصة ، و كان الجزء من الإنتاج يستهلك محليا و يصدر الفائض إلى الخارج ، و من أهم الصناعات أو الحرف التي مارسها المجتمع الجزائري على المستويين المدينة والريف فهي الصناعة النسيجية و الحريرية و القطنية و الجلدية و المعدنية و الخشبية و الفخارية .[1]

و كانت معظم الأسر تنتج حاجاتها الضرورية ،كما أن بعض الحرف لم تكن مقصورة على الرجال بل كانت المرأة تساهم بقسط وافر في إنتاج بعض المصنوعات ، مثل المصنوعات النسيجية و الفخارية و كانت بعض الأسر تتخذ من حرفتها مصدرا لرزقها أو مكملا لنشاطها الزراعي فكانت تسوق جزءا من إنتاجها مثل الزرابي و الحايك و البرانس و الأدوات الحديدية و الأواني الفخارية و الخشبية.[2]

أما في المدن فإن الحرف كانت أكثر تنظيما فكانت تنجز في ورشات خاصة ، من طرف عدد من العمال المنظمين في نقبات مهنية ، و كان على رأس كل حرفة أمين يتولى تنظيم الحرفة و مراقبة الإنتاج و السهر على الجودة و ترقية الحرفيين من رتبة عامل إلى معلم ،كما كان يتولى أمر تقييد أسماء العمال الجدد الوافدين على المدينة ، و أخيرا كان مطالبا بجمع الضرائب المقررة على حرفته و تسليمها بعد ذلك لشيخ البلدية ، و كانت كل حرفة تحتل شارع معينا في المدينة و الذي غالبا ما كان يحمل اسم الحرفة الموجودة به .[3]

و إذا حاولنا تصنيف مختلف الحرف والصناعات في الجزائر فنجد في مقدمتها :

الصناعة النسيجية : عرفت هذه الصناعة انتشارا واسعا نظرا لوفرة المواد الخام فكانت المدن والقرى تنسج الزرابي و البرانيس و الأغطية و الشواشي ، كما عرفت صناعة الأحزمة الصوفية و الحريرية

---

[1] محمد الطيب عقاب : **قصور مدينة الجزائر في أوخر العهد العثماني** ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2000 ، ص 24 .

[2] مجهول : **سيرة الزواوة** ، المخطوط رقم 3012 ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، ورقة 16 – 17.

[3] صالح عابد : **الجزائر خلال الحكم التركي ( 1514 – 1830 )** ، ط 3 ، دار هومه ، الجزائر ، 2011 ، ص 339 .

وكانت المنتوجات الحريرية تصدر إلى الدول المشرقية و الأوربية [1] ، و قد انتشرت في المدن الجزائرية صناعة الشواشي إلا أنها كانت أقل جودة من مثيلتها التونسية .[2]

و كانت تنتشر في المدن الجزائرية عدة محلات مخصصة للخياطة و الطرز و كان معظم الخياطين في مدينة الجزائر من اليهود ، أما الطرازون فكانوا من الكراغلة و العرب و ما يلاحظ أن المجتمع الجزائري كان ينسج ملابسه و أفرشته و أغطيته .

الصناعة الجلدية : كانت توجد في المدن الجزائرية مدابغ لمعالجة الجلود و قد عرفت هذه الصناعة هي الأخرى انتشارا واسعا حيث كان يصنع من مادة الجلد الأحذية بمختلف أنواعها و ألوانها و لوازم الخيول كالسروج و الألجمة التي عرفت رواجا لدى بعض القبائل ، لاهتمامها الكبير بتربية الخيول ، فهناك قبائل تملك ثلاثمائة أو أربعمائة خيل .[3]

الصناعة المعدنية : كانت الصناعة تمارس في بعض المناطق الجبلية و المدن فهناك مسابك لصناعة المدافع و القذائف و البنادق و مختلف الأدوات الحديدية ، و قد كان سكان جبال بجاية يستخرجون الرصاص و الحديد ، و يصنعون من هذه المواد االسكاكين و السيوف و الأدوات الفلاحية كالمحراث والفؤوس و المناجل التي كانوا يبيعونها لسكان السهول .[4]

الصناعة الفخارية : لقد عرف المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الصناعة الفخارية منذ أقدم العصور حيث كانت معظم المدن و القرى الجزائرية يصنع فيها الأواني الفخارية للاستعمالات اليومية و مواد البناء كالقرميد و الأجور و الزليج ، و كان الإنتاج متفاوت الجودة من منطقة إلى أخرى إلا أن أجوده كان يصنع في مدينة ندرومة ، و قد عرفت الصناعة الفخارية و الخزفية نقلة نوعية على يد الأندلسيين فظهرت عدة ورشات بضواحي باب الوادي بمدينة الجزائر .

الصناعة الخشبية : مارس المجتمع الجزائري الصناعة الخشبية فكان سكان الأرياف يصنعون الأواني المنزلية و الأدوات الفلاحية كالمقابض و المحارث و غيرها و الواقع أن هذه الحرفة كانت تمثل بالنسبة لسكان الأرياف وسيلة التسلية لقضاء وقت فراغهم ، أما في المدن فإن هذه الحرفة كانت أكثر تطورا

---

[1] وليام شالر : المرجع السابق ، ص 93.

[2] ناصر الدين سعيدوني و الشيخ بوعبدلي المهدي : **الجزائر في تاريخ العهد العثماني** ، ج 4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 61 .

[3] صالح عابد : المرجع السابق ، ص 343 .

[4] ناصر الدين سعيدوني و الشيخ بوعبدلي المهدي : **الجزائر في تاريخ العهد العثماني** ، المرجع السابق ، ص 65 .

حيث هناك عدد من النجارين و الخراطين الذين كانوا يصنعون أثاث المنزلية و الخزائن و النوافذ و الأبواب ، و قد كانت هناك ورشات لصناعة السفن وتصليحها حيث أولت الجزائر أهمية خاصة لمادة الخشب من أجل صناعة السفن كونها بحاجة إلى أسطول قوي لمواجهة لأخطار الخارجية .

و قد تعود أسباب عدم تطور الصناعة و ازدهارها إلى احتفاظها بطابعها التقليدي و عدم محاولة تطور الوسائل الإنتاجية ، و إلى منافسة الصناعة الأوربية التي دخلت مبكرا طور الإنتاج الآلي مما يجعل أسعارها منخفضة ، و إلى دور الدولة الذي لم يكن يشجع على التطور مما جعل الصناع يعانون من صعوبة الحصول على المواد الضرورية لصناعاتهم فكانوا يضطرون إلى دفع مبالغ مالية ضخمة لشراء المواد القليلة المتوفرة في الأسواق ، و قد تسبب ذلك في ارتفاع أسعار المصنوعات لقلة الإنتاج و ارتفاع و غلاء خاماتها علاوة على الضرائب الباهظة التي كان يدفعها الصناع على مصنوعاتهم .[1]

[1] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ( 1800 – 1830 )** ، المرجع السابق ، ص 37 .

### 3. المجال التجاري :

إن نشاط المجتمع الجزائري في المجال التجاري هو نشاط مكمل و موازي لنشاطه في المجالين الزراعي و الصناعي حيث مارس المجتمع الجزائري في العهد العثماني نشاطا تجاريا واسعا حتى أصبح من الدعائم الرئيسية للاقتصاد الجزائري و قد تجلى ذلك في العدد الكبير من المحلات التجارية و الأسواق التي كانت منتشرة في المدن و الأرياف و كانت التجارة في الجزائر تنقسم إلى نوعين : هما التجارة الداخلية و التجارة الخارجية .

❖ **التجارة الداخلية :**

لقد أدى تنوع الإنتاج الزراعي و الحيواني إلى ازدهار النشاط التجاري فأصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية مهمة يؤمها الأهالي من مختلف الجهات لشراء حاجاتهم الضرورية ،وبيع إنتاجهم الزراعي و الصناعي و هذا ما خلق نوعا من الترابط بين المدن والأرياف فكانت مدينة الجزائر مثلا تأتيها المواد الغذائية و غيرها من المزارع المناطق المجاورة لها.[1]

لم تكن التجارة الداخلية لمدينة الجزائر بأحسن حال من التجارة الخارجية نظرا لقلة المواصلات و لسوء التنظيم الإداري و لضعف الإنتاج و قلة الأسواق الاستهلاكية[2] ، وتوجد بالمدينة بعض الأسواق و لكن لا تشبه تلك الأسواق الضخمة ، فالتجارة في الجزائر لم تزدهر أبدا مثل ازدهارها في بقية العواصم الأخرى و قد كان بالمدينة أسواق ومن أشهر هذه الأسواق سوق القصبة وسوق تافورة وسوق كبير يمتد من باب عزون إلى باب الواد وغيرها .[3]

و كان الريف الممون الرئيسي للمدن و كانت القبائل تأتي بإنتاجها إلى أسواق المدن ، لتتم فيها المبدلات التجارية و قد خصص للفلاحين و القوافل أماكن لعرض سلعهم فكانت رحبة الزرع في مدينة الجزائر خارج باب عزون و هو المكان الذي كانت تلتقي فيه القوافل التجارية القادمة من مختلف أنحاء البلاد ،كما كانت في نفس الوقت محطة تنطلق منها القوافل إلى الجهات المختلفة ، وهناك قائد دائم في باب عزون لاستخلاص الرسوم من أصحاب القوافل الداخلة و الخارجة .[4]

---

[1] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 99 .

[2] عبد القادر حلمي : **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830** ، المرجع السابق ، ص 312 .

[3] أبو العيد دودو : **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان ( 1830 – 1855 )** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989، ص 110 .

[4] عبد الله محمد الحاج يوسف الشويحات : **قانون الأسواق** ، مخطوط رقم 1778 ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، ورقة 68 – 69 .

لقد عرفت الأرياف هي الأخرى حركة تجارية واسعة فمنها التي تتم في المناطق الشمالية التلية ومنها العمودية بين القبائل بين الجنوبية الصحراوية و القبائل التلية ، و لكن التجارة الداخلية استولى عليها اليهود بإذن من الباشا فقد استغلوا حروب حاجة أوربا إلى القمح و عملوا على تحويل التجارة إلى إرباحهم الخاصة .[1]

❖ **التجارة الخارجية :**

لم تكن التجارة الجزائرية الخارجية مقصورة على المستوى الداخلي بل امتدت إلى ما وراء الحدود ، إلا أن الآراء قد اختلفت حول تحديد حجم التجارة الجزائرية الخارجية فهناك من حاول التقليل من شأنها و من إمكانيات الجزائر الاقتصادية [2]، فمن المعروف أن الصادرات و الواردات في التجارة الخارجية لأي بلد ترتبط بما لهذا البلد من كفاءات إنتاجية محلية تلعب الدور الأول في التبادل التجاري الخارجي ، و مدينة الجزائر في فترة الحكم الداي حسين فقيرة من هذه الناحية فقدرتها الإنتاجية ضعفت بسبب سوء التنظيم الاقتصادي و قلة المنتوج وكان لا ينتج إلا للاستهلاك المحلي . هذا بالإضافة إلى نظام الاحتكار الذي فرض[3]، والذي كان له جانب سلبي حيث ساعد على تسرب المواد الأولية إلى أيدي التجار الأجانب بثمن بخس ، و هذا ما سبب عجزا ماليا في الميزان التجاري ، فانخفضت الكفاءات الإنتاجية للمدينة و قلت الواردات إليها من البضائع[4] ، و أصبح التجار اليهود يحتكرون التجارة الخارجية حتى أصبحوا المسيرين الحقيقيين للاقتصاد بالمدينة ثم للحكومة نفسها و تدخلوا في سياسة الدولة و ما كانت تبرمه من اتفاقيات اقتصادية أو تجارية مع الدول الأجنبية .[5]

إن دور المجتمع الجزائري في التجارة الخارجية كان محدودا نظرا للعراقيل و الحصار الذي فرضته عليه الدول الأوربية ،كما أن الإمكانية المادية المحدودة لم تكن تسمح له بمنافسة الشركات العالمية و لهذا فإن معظم الأرباح كان يستفيد منها التجار الأوربيون و اليهود .[6]

---

[1] أبو قاسم سعد الله : **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الاحتلال )** ، المرجع السابق ، ص 157 .

[2] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 99 .

[3] عبد القادر حليمي : **مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830** ،المرجع السابق، ص 69 .

[4] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في العهد العثماني ( 1800 – 1830 )** ،المرجع السابق ، ص 272 .

[5] حمدان خوجة : **المرآة** ، المرجع السابق ، ص 121 ، 120 .

[6] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 126 .

**ثانيا : الأوضاع الاجتماعية.**

كانت الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر لها طابعها الخاص و مميزاتها و نستطيع أن نلمس عن كتب الحياة اليومية و كذلك دور المرافق الحضرية في حياة مجتمع مدينة الجزائر و القصور والأسواق و الحمامات و المقاهي ، و كذلك العادات الاجتماعية ، كل هذا يمدنا بمعلومات هامة عن الأوضاع الاجتماعية و حياة المجتمع داخل مدينة الجزائر.

**1.المنازل و القصور :**

لقد كانت المباني متنوعة تزدحم داخل أسوار المدينة و منها الديار و المنازل ذات الأشكال الهندسية الجميلة ، و كان عدد الديار داخل المدينة حوالي 8000 دار ، و هي ديار متشابهة مطلية كلها بالجير الأبيض و الجبس ، و قد اهتم سكان المدينة بتجميل المنازل من الداخل خصوصا واكتفوا بتبييضها من الخارج ، و كانت مدينة الجزائر مقسمة إلى احياء سكنية منها حي البحرية حيث تمركزت الطبقة الارستقراطية من الأتراك بالخصوص و المصالح التجارية البحرية ، حي باب الواد لليهود التجار، حي باب عزون للأجانب و أصحاب التجارة من الأهالي، حي القصبة القديمة للعرب أما حي القصبة الجديدة و العليا فللانكشارية و الدايات و أصحاب المناصب العالية في البلاد .[1]

أما عن القصور فأضافت هي الأخرى لمسة جميلة للنسيج العمراني للمدينة و امتازت بالفخامة و المنظر الجميل و عادة نجدها مبنية بالرخام الأبيض و مزينة بالفسيفساء و الدارس لعمران مدينة الجزائر يلاحظ بأنه لا فرق بين القصر و منازل الأهالي حيث الاختلاف فقط من الداخل حيث تتميز القصور بذوق فني عالي ، لقد تأثرت هندسة القصور بالفن الأندلسي وكذلك بالعمارة الإسلامية التي جلبها الأتراك من المشرق و من أهمها : قصر عزيزة لاستقبال ضيوف الداي ، قصر خداوج الذي يقع في شارع سوق الجمعة و هو أقدمها ، قصر مصطفى باشا ، قصر الحمراء الذي بناه الداي حسين قبل وصوله إلى الحكم في فترة حكم علي خوجة ( 1817 - 1818 ) ، ونذكر وجود اثني عشر قصر داخل المدينة للضباط السامين و الدايات .[2]

---

[1] عبد القادر حليمي : **مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830** ، المرجع السابق ، ص 224 .

[2] محمد الطيب عقاب : **قصور مدينة الجزائر في أوخر العهد العثماني** ، المرجع السابق ، ص 44 .

### 2. الأسواق:

عرفت الجزائر ظهور بعض الأسواق التي يتم فيها بيع مختلف السلع و البضائع كالعطور والمنسوجات و المجوهرات و من أشهرها سوق بوفاريك[1] ، هذا إضافة إلى وجود عدة أنواع أخرى كانت مقسمة إلى فنادق ، حيث خصص كل واحد منها لنوع من البضاعات كقاعة الزيت ، و قاعة الجلد .[2]

و كانت هذه الأسواق مكسب رزق للسكان في الجزائر خاصة الصناعة اليدوية التي اختص بها بعض السكان مثل صناعة الحلي و الأسرجة ، و باعتبار أن معظم سكان مدينة الجزائر كانوا يكسبون رزقهم عن طريق التجارة و البعض الآخر يمارس الأعمال اليدوية ، فإن الأسواق أصبحت نموذج عن الحياة الاجتماعية داخل المدينة ، فكانت تتخلل الأحياء أسواق متنوعة يجد فيها التجار فرصة لعرض منتوجاتهم من عطور و مصنوعات قطنية و من أهمها سوق السردين بالقرب من باب الديوانة ، سوق باب عزون ، و سوق باب الوادي بالقرب من جامع سيدي رمضان ، سوق اللوح بالقرب من باب عزون ، سوق القمح .[3]

و قد لوحظ بهذه الأسواق الذهب المكسيكي ، و الماس الهندي ، و حرير الشرق ، إذ كانت السفن ذات الأعلام المختلفة تدخل و تخرج من الجزائر مليئة بالثروات الاحتياطية .[4]

### 3. الحمامات:

تعتبر من الأماكن العامة ، و تظهر في كل الأحياء الجزائرية حتى أنه يصعب التفريق بينها وبين البيوت العادية ، تتميز هذه الحمامات ببناياتها الواسعة و المجهزة بالماء البارد والساخن كما تتوفر على كل ما يحتاجه الزبون من راحة و استجمام كونها نظيفة و مضاءة في السقوف إضافة إلى وجود غرف واسعة و جانبية توضع فيها ثياب الزبائن ، و فيها خدم يحرسون على راحة الزبون و تلبية طلباته ، و عليه كان للحمامات أغراض مختلفة ، خاصة الاجتماعية كونها تعد مقصد الناس بالأخص النساء ، و كان في الحمامات يتفق على الزواج أو مبادرات الأولى ، فالتجارة و الصفقات المالية ، إضافة إلى

---

[1] وليام شالر : المرجع السابق ، ص 78 .

[2] عبد الحميد بن أشنهو : **حول الأتراك العثمانين إلى الجزائر** ، ( د – د – ن ) ، الجزائر ، 1872 ، ص 126 .

[3] وليام شالر : المرجع السابق ، ص 78.

[4] عبد الحميد بن أشنهو : المرجع السابق ، ص 127 .

ما يحكى من حوادث عائلية بين الأصدقاء ، و عادة ما تجهر بجو موسيقي في حمامات النساء خاصة و يحضر الطبل أو الدربوكة لاسيما إذا ما كانت إحداهن عروس ، وكذلك أهم الحلويات الشعبية و الحلقوم و أصابع العروس .[1]

4. **المقاهي** :

تعتبر من الأماكن التي يقصدها الرجال في الجزائر ، فهي بمثابة مؤسسة يتم فيها عقد الصفقات ، كما هو المكان الذي يقصده الأجنبي قصد الاحتكاك بالشعب الجزائري بهدف التعرف على حقيقته و تعلم لغته .[2]

فالزائر للمقاهي بمدينة الجزائر يتمتع بالفسيفساء و الألبسة المختلفة بدون أن ننسى الحفلات التي كانت تقام و استعمال الموسيقى خاصة في مقاهي الهواء الطلق ، و لقد انتشرت المقاهي في كل المدينة حيث عرفت المقاهي انتشارا واسعا في الجزائر و أهمها يوجد في الطريق المؤدي إلى الميناء و عرف هذا الحي بحي المقاهي .

أما عن أجمل مقهى عربي فهو يقع في شارع البحرية به قاعة مقسمة إلى مقصورات تستند على أعمدة و تتسع لعدد كبير من الزوار ، أما عن اكبر المقاهي العربية فيوجد في شارع الديوان قرب مسجد كتشاوة و يتردد عليه العنصر الأوربي خاصة و على العموم بلغ عددها في القسم الأعلى من المدينة حوالي ستين مقهى[3] ، ، يجتمع فيها الناس منذ الصباح الباكر حتى تمتلئ القاعة تدريجيا لكن ما يميزها هو طريقة الجلوس حيث يجلس الأتراك على المقاعد لتناول القهوة أو الشاي كونهم الطبقة الأرستقراطية ، أما البقية يجلسون على الحصير المفروش على الأرض هذا و أنها لا تخلوا من الموسيقى و الغناء بعد صلاة الظهر إذ كانت تلقى إقبالا كبيرا من الزبائن .[4]

---

[1] كورين شوفالية : المرجع السابق ، ص 58 .

[2] بفابفز سيمون : **لمحة تاريخة عن الجزائر** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص 112 ، 113 .

[3] أبو العيد دودو : المرجع السابق ، ص 114 .

[4] بفابفز سيمون : المرجع السابق ، ص 113 .

### 5. العادات و التقاليد :

مارس سكان الجزائر عادات مختلفة و كثيرة منها حفلات الختان و الخطبة و الزواج واستقبال و توديع الحجاج ، إضافة إلى المناسبات الدينية كشهر رمضان الذي كانت تقام فيه عادات خاصة ميزته عن باقي الشهور الأخرى ، كختم القرآن في المساجد و إضاءة الشموع ، و مجمع الشعائر الدينية التي تقام في أنحاء الجزائر[1] ،كما كان الناس في هذا الشهر الفضيل يسهرون و يخرجون لزيارة الأقارب و الجيران خاصة النساء حتى اللواتي لا يخرجن إلا نادرا لتبادل أطراف الحديث و الاستمتاع بالسهرة حسب طريقتهم أما الرجال يتوجهن إلى المساجد لصلاة التراويح و القيام بالعبادة ثم يذهبون إلى المقاهي و أماكن التسلية و هكذا يعد شهر رمضان من أهم الأشهر السنوية التي تبعث الفرح و السرور في نفوس السكان .[2]

ثم مباشرة يأتي عيد الفطر المبارك الذي يحتفل به السكان ، حيث يستيقظون على الموسيقى ، و يرتدون أجمل الثياب المطروزة من الذهب و الفضة و حتى المصنوعة من الصوف و القطن ، و بعد صلاة العيد و تبادل التهاني يذهب الناس إلى زيارة المقابر و الأقارب و الجيران .

كما تمارس في عيد الأضحى المبارك أيضا مراسيم دينية ، حيث تقام الصلاة في المساجد صباحا ، ثم يتم ذبح الأضحية التي تعد كأمر مميز ، إضافة إلى القيام بالألعاب البهلوانية المختلفة بحضور الداي و كبار رجال الدولة .

أما المولد النبوي الشريف فكان فيه الاحتفال مميز ، حيث تكون مختلف الأطباق من الحلويات و المأكولات كما تشعل فيه الشموع و كان ليوم الجمعة أيضا مظهر خاص حيث تغلق أبواب المدينة عند الصلاة ، و تغلق الدكاكين و لا تفتح إلا بعد الصلاة و تخرج بعض العائلات في نزهة أو زيارة بعضهم البعض ، أما النساء فيكتفين بزيارة المقابر[3].

و من العادات الاجتماعية زيارة الأضرحة و لم يقتصر هذا على النساء فقط بل حتى الرجال يقصدون الأولياء الصالحين بغية البركة لا غير ، و كان يوم الاثنين مخصص لضريح سيدي يعقوب

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 )** ، ج 1 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 ، ص 155 .

[2] بفابفر سيمون : المرجع السابق ، ص 116 ، 117 .

[3] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 )** ، المرجع السابق ، ص 156 .

الواقع على صخرة قريبة من البحر خارج باب الواد ، و الخميس لزيارة سيدي عبد العزيز خارج باب عزون و أيام الجمعة لزيارة عبد الرحمان الثعالبي الواقع خارج باب الواد .

و عند أفراح الزواج و الأعياد العائلية ، فكان السكان يستلفون من بعضهم الحلي و الجواهر الثمينة ، و يرتكز هذا على الثقة و كرامة الناس ، فكانت بعض الأسر الغنية تشتري الحلي الفاخر ويعار للفقراء و الأيتام عند زواجهم [1]، كما عرفت و انتشرت ظاهرة الزواج في وسط المجتمع الجزائري لكن رغم ذلك إلا أن الرجل كان يكتفي بامرأة واحدة رغم تعدد الزوجات في الإسلام ، و كانت هناك ظاهرة شائعة في الزواج تتمثل في التوسط و عادة ما يتم عن طريق امرأة مسنة صديقة لعائلة الزوج أو الزوجة أو في الحمام أو الأعراس حيث تلتقي النسوة و يتم التعارف .

كما نجد حفلات الختان و الولادة مصحوبة بالموسيقى و الدربوكة مع إنشاد الشعر الشعبي ، وهناك حفلات تسلي الناس و تذهب عنهم الضجر مثل مسرح القرقوز ، الذي ادخله الأتراك و قعدات النساء في السطوح مصحوبة بفن البوقالات و هو نموذج عن الشعر الشعبي ، و من العادات الاجتماعية أيضا نذكر كذلك الأكلات و ألوان الطعام ، اذ يعتبر الكسكس أهم طبق شعبي بمدينة الجزائر يفتل في شكل حبات صغيرة ، بينما كان الأهالي يكثرون من لحم الثور المجفف والمحفوظ في الزيت ، و يستهلكون القليل من لحم البقر ، أما الحلويات فاشتهرت حلوة الحلقوم ذات الأصل التركي و كذلك أصابع العروس . [2]

[1] خوجة حمدان : **المرآة** ، المرجع السابق ، ص 103 .

[2] وليام شالر : المر جع السابق ، ص 88 .

**6. اللباس:**

يعتبر اللباس عنصرا أساسيا من عناصر الحضارة الإنسانية فهو يعبر عن أي أمة ويعرفنا عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،ومن ثم نمط وأسلوب المعيشة وذوق العصر وفئات المجتمع إضافة إلى المستوى الفني والتجاري والصناعي.

تميز مجتمع مدينة الجزائر بظهور عناصر جديدة اثرت على لباس المرأة والرجل فعرف بالتنوع و الإبداع منها فئة الأندلسيين و الحضر ، و الكراغلة و قد كان تنسيق اللباس من أقدم الأركان التي قامت عليها الدولة العثمانية ، و هو بذلك يميز الشعوب عن بعضها البعض ، و كانت نوعية الملابس تختلف باختلاف الطبقات و ثروة الأفراد و فصول السنة [1] ، فملابس الأتراك والكراغلة مزينة بحواشي من الذهب أو الفضة أو الحرير حسب رغبة الشخص ، و هي عبارة عن سراويل عريضة مصنوعة من القطن و قميص من الكتان ، و سترة قصيرة من الكتان أو القطن ثم قفطان مفتوح في المقدمة و له ألوان كثيرة كما يلبسون أحذية عالية من الجلد[2].

كما تميز الرجل العثماني عن نضيره الأوروبي بالطربوش حيث كان رجال البلاط و الجند يختارون اللون الأبيض كعلامة لقلانسهم الطويلة المخروطية الشكل ، فكان الداي يرتد الصدرية المصنوعة من الكتان الخشن يضعها فوق القميص و فوقها يضع البديع ، كما يرتدي الجبادولي المصنوع من الحرير حيث يكون مطروزا بخيوط ذهبية ، ثم يشد ثيابه بواسطة الحزام المطروز بالذهب أيضا و في الأخير يضع البرنوس الأسود أو الأبيض اللون ، أما السراويل فتكون عريضة حتى تساعدهم على امتطاء الجياد و أحذيتهم تتخذ في مقدمتها شكل القلنسوة و يضع الداي و حاشيته العمامة التي هي لحاف من القماش الأبيض ، في حين كانت ملابس الجنود عبارة عن سراويل من الصوف الخشن و البرنوس الأبيض اللون[3] ، ولم تحدد الألوان باستثناء اليهود الذي خصص لهم اللون الأسود [4].

---

[1] كارل بروكلمان : **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ترجمة : منير البعلبكي و أمين فارس ، ط1 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، 1948 ، ص 412 .

[2] وليم سبنسر : المرجع السابق ، ص 87 .

[3] حمدان خوجة : **المرآة** ، المرجع السابق ، ص 56 .

[4] عبد الحميد بن أشنهو : المرجع السابق ، ص 408 .

و كان لباس المرأة العربية في الجزائر الحايك الذي يتكون من قميص صغير و سروال ضيق ينزل نحو الأسفل و ثوب من الحرير و أيضا تلبس الحذاء ، كما تضع المرأة الحلي الثقيل من خواتم و أقراط و أساور و خلاخل من الذهب أو الفضة ، و لباس الرأس مصنوع من الذهب أو الفضة و يكون شكله مخروطي ، و فوقه تضع الحجاب ذو الطرز الخفيف أو الثقيل حسب الذوق .

أما ملابس نساء الأتراك فهي الفارمة التي تكون مفتوحة عند الصدر و مشدودة بحزام عند البطن ، كما تلبس المرأة المعطف و إذا كانت داخل بيتها ترتدي سروال و مع خروجها تلبس ثوب مزركش ذو ثلاث طبقات حتى الركبتان و الحزام عبارة عن لحاف قماش عريض ثم تضع الحايك الأبيض اللون و تغطي وجهها بالعجار [1].

إضافة إلى هذا شغلت المرأة دورا هاما في المجتمع الجزائري ، حيث كانت تشترك في السياسة العامة للبلاد من خلال تدخلها في توجيه القرارات أو حتى التأثير على أزواجهن في اتخاذ القرارات الحاسمة نتيجة الزواج السياسي[2] ،كما أدت خدمات دينية و اجتماعية و خيرية فهي التي توقف الأوقاف على الفقراء و المساكين و توزع الكتب على المساجد و مراكز التعليم كما تقوم على الطرق الصوفية في حين أن دورها في الحياة الثقافية كان محدودا جدا ، فلم تقم بالشعر و الأدب لكنها مثلت الجانب الثقافي و تفننت فيه من خلال ما أبدعته في النسيج والطرز و الحياكة و الصياغة فهي التي كانت تنتج المناديل و البرانيس و الزرابي و بها اعتبرت منتجة و مستهلكة .

كما كانت تقوم بالمهام المنزلية احسن تمثيل حيث اعتنت بتربية الأطفال حتى أصبح الطفل الحضري مضرب للمثل في الجمال و الذوق ، كما تعتني بنظافة بيتها الذي يمكن التنقل فيه حافيا ، أما أوقات فراغها فتقضيها في الحمام أو زيارة الأقارب[3].

على العموم تميزت الملابس بأسلوب الزخرفة العثمانية و كان اهتمام المرأة والرجل على حد السواء باللباس دليل على الوعي بالحياة الراقية وعلى ثقافة مجتمع مدينة الجزائر العريقة وعلى تراث لازال إلى اليوم حي .

---

[1] وليام سبنسر : المرجع السابق ، ص 84 .

[2] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 )** ، المرجع السابق ،ص 62 - 64 .

[3] وليام سبنسر : المرجع السابق ، ص 85 .

### 7.المجوهرات و الحلي :

اكتسبت المجوهرات منذ القدم أهمية بالغة نظرا لقيمتها المالية و كذلك الجمالية ولكونها رمزا اجتماعيا و ثقافيا حقيقيا يعكس رفاهية المجتمع و تراثه ففي مدينة الجزائر اعتبرت الزينة التي كانت تقتنيها المرأة حركة و سلوكا صحويا ، و اهتم الأتراك بصناعة الحلي و الصيغة وكانت لهم احياء مختصة منها : سوق الصياغين في نهج لأمارين حيث كانت تصنع الخلاخل والعقود و خيوط الروح ، و أشهر الحرف صناعة النحاس و الفضة .

و أهم ما ميز المجوهرات و الحلي تلك الأشكال الهندسية و الرموز المختلفة التي كانت تعبيرا عن ابعاد الحظ السيئ و تمديد الحياة فمثلا السمكة أو الحوتة البيضاء أو النجمة و اليد والخامسة كانت ترمز لإبعاد الحسد و العين ، أما الحلي المكتوبة بآيات القرآن الكريم فكانت لجذب السعادة و الاطمئنان و استعملت الحلي مهرا للفتيات و هدية في الأعياد و المواسم ، وعند الخطوبة أو الذهاب إلى الحمام و ادخارها أيام الأزمات و الشدائد ، و هكذا أصبحت الحلي التقليدية في مدينة الجزائر تعبيرا عن عادات و تقاليد المجتمع و عن ثقافة خاصة موروثة عن الأمهات و الجدات .[1]

[1] بن ونيس فريدة : **المجوهرات والحلي في الجزائر** ، سلسلة الفن والثقافة ، وزارة الإعلام و الثقافة ، 1976 ، ص ص 9 ،12 .

**ثالثا : مستوى المعيشة**

إن البحث في الأوضاع المعيشية للمجتمع الجزائري في عهد العثماني يقتضي البحث في الضرائب المفروضة على السكان و المداخيل والأجور التي تتحكم في القدرة الشرائية ، و تبعا لذلك و من خلال ما تقدمه المصادر و الوثائق من معطيات يمكن الحديث عن نشاط المجتمع الجزائري الفلاحي وواقع الصناعة والتجارة.

**1. الضرائب :**

تعد الضرائب التي يدفعها السكان من العوامل الأساسية و الضرورية لقيام الدولة و ضمان استمرارها عبر العصور ، فالدولة التي تفتقر إلى مداخيل مالية يكون مصيرها الضعف و الزوال ، ومن المهام الرئيسية للدولة هي السهر على استقرارها و نموها و توفير الرفاهية لسكانها و أخيرا الدفاع عن مجالها الحيوي من الأخطار الخارجية ، و لتحقيق هذه الأهداف لابد أن تتوفر أحد الأركان الأساسية لقيام الدولة وهو أن يخضع الناس الذين يعيشون على ذلك الإقليم لسلطة منظمة .[1]

إن النظام الضريبي الذي وضعه العثمانيون في الجزائر لم يكن عشوائيا بل كان يخضع لعدة قوانين ومعايير موضوعية تختلف درجة احترامها و الالتزام بها من طرف لآخر و من منطقة لأخرى ، حيث كانت الإدارة تراعي أثناء فرضها للضرائب وضع البلاد الاقتصادي و الاجتماعي ، كما أنها كانت تأخذ بعين الاعتبار طبيعة التضاريس و الأحوال المناخية لكل جهة من البلاد .

و وفقا لهذه المعطيات سنت الإدارة نظاما ضريبيا و بحكم تنوع تضاريس الجزائر و مناخها والنشاط الاقتصادي الممارس فيها فإنه من الطبيعي أن تكون الضرائب متنوعة هي الأخرى ، فهناك الضرائب الشرعية و الضرائب الإضافية و الضرائب الظرفية .[2]

❖ **الضرائب الشرعية المعتادة :**

تفرض على الأراضي الخاصة تشمل العشور و الزكاة و هي مشروعة دينيا تمس المحاصيل الزراعية والحيوانية تدفع بقيمة عينية أو نقدية و تقدر بـ 10/1 روعيت فيها طبيعة الأرض و عطائها ، كما

[1] يحي الجمل : **الأنظمة السياسية المعاصرة** ، دار النهضة العربية للنشر ، بيروت ، 1969 ، ص 27 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 – 1830** ، المرجع السابق ، ص 118 .

تقيم بـ 1 إلى 6 صاع من القمح أو الشعير إضافة ل 1 ريال بوجو أو شبكة من الخرطال عن كل زويجة[1] أو جابدة .[2]

و تسند مهمة مراقبة العشور و التخزين إلى قايد العشور في البايلك ، إلى جانب جرد تقارير المعاينة للمحاصيل طبقا لاستنتاجات شيوخ القبائل و العرب في الأوطان حول نسبة الإنتاج ، كما يكلف شيخ العرب بجباية العشور من الجهات الصحراوية بقيم نقدية و عينية و رغم إشراف أغا العرب عن عمليات الجباية [3]، نجد أن الجباة يتحايلون في تسجيل المحاصيل و النقود المتعلقة بالضرائب فيقتطعون منها أسهما يستغلوها في تحقيق الترقية بالالتزام و في زيادة ثروتهم ، فيذكر حمدان خوجة في هذا الصدد « إن جباة الضرائب يقومون بتجاوزات أي أن الدولة لم تكن تقيض بالضبط جميع المبالغ التي تعود لها أو أن الجباة كانوا يجمعون أكثر من اللازم » [4] ، كما ساهمت سلطة زوايا المرابطين في توفير أمن و تنقل محال الجباية و العشور بمنحها كل التسهيلات ، فالباي أحمد القلي ببايلك قسنطينة كلف المرابط حسن الورتيلاني بمساعدة جند محلة الخليفة في جباية العشور[5] و أمر دور المحطات المسماة الكوناك و القلاع العسكرية بحمايتها .[6]

و قد كانت العشور تستخدم في أغراض كثيرة فذكر حمدان خوجة « من الأراضي تؤخذ العشر أو الجزء العاشر من الإنتاج و توضع مقادير تلك الأعشار في صندوق الخزينة لدفع مرتبات الجيش والاعتناء بالفقراء و لتربية الأيتام و دفع أجور القضاة و المعلمين » .[7]

---

[1] الزويجة : و هي زويجة من البقر يتحصل عليها بـ 12 كيلة من القمح و 12 كلية من الشعير ، و تساوي 8 كيلات من الحبوب صاعا واحدا الذي يساوي 149 لتر . أنظر : ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية** ، المرجع السابق ، ص 175 ، 176 .

[2] الجابدة : و تعتمد في حسابات قدرة ثورين لحرث مساحة من الأرض قدرت في القرن 17 و 18 م في بايلك قسنطينة بـ 12 كلية من القمح و 12 من الشعير . أنظر : أحمد سيساوي : **النظام الإداري ببايلك الشرق ( 1791 – 1800 )** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة قسنطينة ، 1987- 1988 ، ص 45 .

[3] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية** ، المرجع السابق ، ص 177 .

[4] حمدان خوجة : **المرآة** ، المرجع السابق ، ص 143 .

[5] الحسين الورتيلاني : **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار ( المشهورة بالرحلة الورتيلانية )** ، تصحيح محمد بن أبي شنب ، مطبعة بيار فونتانا ، الجزائر ، 1908 ، ص 75 .

[6] أحمد الشريف الزهار : المرجع السابق ، ص 36 .

[7] خوجة حمدان : **المرآة** ، المرجع السابق ، ص144 .

❖ **الضرائب الإضافية :**

فرضت على الأراضي المستغلة من قبل القبائل المستقلة و الرافضة للخدمة في محيط سلطة البايلك و تسمى تلك الضريبة باللزمة و قيمتها نقدية أو عينية و تسمى كذلك بضريبة البدو أما القبائل الممتنعة فيفرض عليها ضريبة الغرامة كقيمة عن عصيانها مثل قبائل الحنانشة في بايلك الشرق التي حددت ضرائبها بقياس عدد الخيم [1] ، في حين القبائل المتمردة فرضت عليها ضريبة الدية أو الخطية الإجبارية كمعيار للخضوع و الطاعة للداي و إلى جانب ذلك نجد قبائل الرعية الخاضعة تتعهد بتموين الحاميات العسكرية و تسمى تلك المساعدات بضريبة المعونة نتيجة حصولها على تسهيلات في كراء و استغلال أراضي البايلك و للعلم أن الضرائب الإضافية تسقط على القبائل المخزنية ،و إلى جانب ذلك تفرض الضرائب على العقارات الفلاحية ضمن الضرائب الإضافية حيث تقوم سلطة البايلك بكراء الأراضي الزراعية مقابل الانتفاع بمحاصيلها و قد يخفض الكراء مقابل خدمات خاصة بتربية المواشي ورعاية الخيول وتعرف تلك الضرائب " بالحكور " على العزل و تقدر بقيمة عينية و نقدية مقدارها 10 ريالات تدفعها عادة قبائل الرعية أو العروش إلى خوجة خيل أو أغا العرب .[2]

**4. الضرائب الظرفية :**

الضرائب الظرفية كانت تفرض خلال المناسبات التكريمية و التعيينات الترقوية و كانت في شكل رسوم مختلفة تقدمها القيادات وشيوخ بعض القبائل بعد تعيينهم ، كترضيات و هدايا لأغا العرب وموظفي جباية الضرائب و البايات و موظفي الديوان و منها :

– رسوم تنصيب كبار الموظفين و الشيوخ : فقايد الدار كان يدفع 1700 ريال بوجو سنويا مقابل تعينه و خوجة الجلود يشتري وظيفته ب 300 سلطاني أي 1200 ريال بوجو و أغا زواوة كان يدفع 200 صاعا ، أما رسم تعيين القياد وشيوخ القبائل فيصل قيمته إلى 110 ريال بوجو، و يمكن أن يصل إلى 3000 ريال بوجو ، ومثالا على ذلك ما قدمه شيخ لأوراس و شيخ بلزمة من مبلغ قدره 3000 ريال بوجو لأحمد باي (1826-1837 م) .[3]

و من الضرائب الظرفية أيضا ضريبة حق البرنوس التي تفرض على قياد الأوطان التي يقدموها لأغا العرب حفاظا على مناصبهم ، و ضريبة حق المشايخ التي تفرض على مشيخة القبائل بعد تعينهم

---

[1] أحمد سيساوي : المرجع السابق ، ص 12 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية** ، المرجع السابق ، ص 280 .

[3] علي عبد القادر حليمي : **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830** ، المرجع السابق ، ص 318 .

على القبائل ، و كذلك ضريبة الفرح أو مهر الباشا و التي تكون من حيوانات يساهم فيها البدويين تستغل في الدنوش لفائدة الباشا .

و ما نستنتجه أن مختلف الضرائب كانت موردا ماليا لتمويل النفقات الخاصة و العامة بمدن الإيالة حتى أنها استغلت في أيام القحط و الأمراض ودفع أجور الجند والموظفين و في هدايا دايات دار الإمارة و خاصة خلال تقديم الدنوش الفصلية و السنوية ، أما من الناحية الاجتماعية فإنها كانت سبيلا لتصنيف القبائل من حيث نشاطاهم و ملكياتهم العقارية و صنائعهم اليدوية الريفية التي لها علاقة بما ينتج و يدفع للجباة من أشكال السلع و من الناحية الاقتصادية ساهمت في استمرارية الحرف اليدوية كصناعة الزرابي والجلود و الشمع و في تمويل الأسواق الريفية و الحضري .

كما أن فاعلية و أدوار الجباة من الموظفين والمحال الإنكشارية في إطار المهام الإدارية العثمانية انعكست على الحياة الإجتماعية و الاقتصادية بالمدن و الأرياف بهدف تحقيق المنفعة العامة للخزينة و التحكم في دواليب الحكم و التنسيق بين الأسواق وطرق الإنتاج تحت إشراف أغا العرب و خوجة الخيل و القياد وشيوخ القبائل الذين كان لهم دورا في استتباب الأمن بمساعدة المحال و النوبات[1].

[1] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية** ، المرجع السابق ، ص ص 279 ، 280.

**2. الأجور :**

إن البحث في الأجور و تحديد الرواتب و المداخيل للأفراد و الفئات في العهد العثماني بحث صعب لعدة أمور منها :

1. تعدد و تنوع العملات المتداولة في الجزائر .
2. اختلاف تسمية العملة من مصدر إلى أخر فهناك على سبيل المثال من اكتفى بذكر "ريال " علما أن هناك ريال بيجو و ريال درهم .
3. عدم استقرار قيمة العملة فهي في تغيير دائم .

و بالرغم من كل هذه الصعوبات ، فإن المصادر قد أجمعت على أن وضع سكان المدن عامة ومدينة الجزائر خاصة كان مريحا مقارنة بوضع سكان الأرياف الذين كانوا يحتملون عبئ الضرائب ، ومسؤولية تموين المدينة بالمواد الغذائية .[1]

و أغلبية السكان في المدن كانوا يعيشون حياة ميسورة لأن معظم العائلات كانت تملك بساتين و أجنة في فحوص المدينة تقضي وقتها فيها و تجلب منها كمية من الخضر و الفواكه .

إن مظاهر الثراء لهذه الفئة من المجتمع ،تجعلنا نعتقد أن مداخيلها المالية كانت معتبرة ،وقد ذكر أحد المصادر أن ثروة حسن قورصو خليفة صالح رايس كانت خيالية ، فبعد أن تم اغتياله في عام 1556 م ، أرسل جزء من ثروته هدية للسلطان العثماني والجزء الباقي وزع على الانكشارية و ترميم الجامع الكبير .[2]

أما عن الأجرة الحقيقية لموظفي الدولة فإنها تختلف من مصدر إلى أخر فهناك من قال أن الداي شعبان 1689 - 1695 م ، كان يقتضي مائة و ستة دينارات في السنة علاوة على المواد الغذائية التي كان يتلقاها من البايات الثلاثة مثل الزيت و السمن و الكسكسي و اللحم ، أما الباشا فكانت أجرته تقدر بألف و خمسمائة دينار لكل شهرين إضافة إلى المواد الغذائية المذكورة .

و يبدو من خلال المصادر أن حوالي نصف مداخيل الدولة كان ينفق في أجور الموظفين و الجند فقد قدرت جرايات الجند و الموظفين في أواخر القرن 18 م بمائة ألف سلطاني .

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ( 1800 – 1830 )** ، المرجع السابق ، ص 112 .

[2] F. D .HAEDO: **Histoire des rois d'Alger**, trad. De l'Espagnol par H. Delamas De Grammont, éd. Grand Alger Livre, Alger، 2004,P 479.

و قد ذكر هايدو أن الحد الأدنى لأجرة الجندي في أواخر القرن 16 م كان يتراوح ما بين ثلاثة وأربع دوبلات و قدم غرامي ( Gramaye ) في مطلع القرن 17 م نفس الأرقام التي ذكرها هايدو ، أما شاو ( Shaw ) الذي نقل عن دو طاسي ( De Tassy ) في مطلع القرن 18 م فإنه حدد أجرة الجندي بمائتين و خمسة و سبعين أسبرا ، و كانت تخصص للآغا رتبة في الجيش و ميزانية خاصة قدرها ألفي ريال درهم للاعتناء بمائدة غدائه و خدمه .[1]

و اكتفى العنتري في ذكره لأجرة الجندي بقوله : « أن الرجل العسكري في ذلك الزمان له راتب سنوي يأخذه من دار باشا الجزائر كل سنة أعني خزينتها قدره مائة ريال جزائري سكة ذلك الوقت ، فيعول عائلته و أولاده منها » و حسب العنتري أيضا فإن أجرة الجندي كان يضرب بها المثل في أوساط المجتمع فكان الشخص يقول لصاحبه أنه فقير الحال ليس في مقام العسكري ، أما رياس البحر الذين كانوا يعتبرون جزءا من القوات العسكرية فإن وضعهم الاجتماعي كان متفاوتا من رايس لآخر و من فترة لأخرى فكانت تتحكم فيه كثافة أو ضعف نشاطاتهم البحرية ، و قد كان الرياس يستلمون جراياتهم كغيرهم من العناصر الانكشارية و التي كانت تقدر بستة ريالات بوجو ، فضلا عن نصيبهم من الغنائم البحرية و الهدايا التي كانوا يتلقونها من القناصل ، أما البحار البسيط الذي ينضم إلى صفوف البحرية لفترة محددة فإنه كان يتلقى سلطانا واحدا لمدة أربعين أو خمسين يوما من الإبحار ، و كانت أجرته تصل أحيانا إلى سلطانيين في فترات ندرة اليد العاملة .[2]

و بعد رتبة السياسيين و الإداريين و العسكريين تأتي فئة التجار و الحرفيين و قد كانت فئة التجار تنقسم إلى مجموعتين هما : التجار الكبار الذين كانوا يمارسون التجارة الواسعة المتمثلة في الإستيراد والتصدير و البيع بالجملة ، و ينحدر معظم أفراد هذه المجموعة من الأندلسيين و الأسر العربية الحضرية و العثمانية و إلى جانب النشاط التجاري كانت هذه المجموعة تتولى مهمة تجهيز المراكب البحرية مقابل حصولها على عدد من الأسهم ، أما المجموعة الثانية من التجار فهي تتشكل من أولئك الذين يمتلكون محلات تجارية في المدينة يبيعون فيها مختلف المواد الغذائية والأقمشة و غيرها و كانت أصول هؤلاء التجار متنوعة أيضا فمنهم الأهالي و الكراغلة و الأتراك و الأعلاج و اليهود .[3]

---

[1] F. D .HAEDO: OP.CIT.P480.

[2] محمد الصالح بن العنتري : **مجاعات قسنطينة** ، تحقيق و تقديم رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص 68 .

[3] F. DE HAËDO ; OP. CIT., R.A. N° 14 et 15, P 91.

أما عن مداخيل هذه الفئة فلا يمكن تحديدها إلا أنها مرتبطة بالوضع الاقتصادي العام للبلاد وبمدى ضعف أو تحسين القدرة الشرائية للسكان أما الحرفيون أمثال الكواشين و النساخين والدباغين و الحدادين و القزادرة و الصفارين و غيرهم فإنهم كانوا منظمين في نقابات مهنية يشرف على كل حرفة أمين و كان صاحب الورشة أو المعلم يشغل مجموعة من العمال فكان العمل يرتقي في الرتبة من عامل مبتدئ إلى صناعي ليصل إلى رتبة معلم ، و كانت الحرف في المدن الجزائرية منظمة تنظيما محكما فهي خاضعة لجملة من القوانين التي تنظم تشغيلها و تسهر على جودة المنتوج وأسعاره و أوزانه و كانت الهيئة المكلفة بتطبيق تلك القوانين تتولى مهمة تحديد نصيب كل طرف من المواد الأولية و التي كانت تدخل المدينة .

و تأتي بعد الفئات المذكورة فئة رجال العلم و الثقافة فكانت وضعية أفراد هذه الفئة على درجات ، فهناك من كان يتقاضي أجرة محترمة و لاسيما أولئك التابعين للإدارة أمثال القضاة و المفتيين وأعوانهم فكان هؤلاء يتلقون رواتبهم من خزينة الدولة كما أنهم كانوا يستلمون بعض المكافآت .

أما المجموعة الثانية من المثقفين فهي تتشكل من المدرسيين و الأئمة ، فكانوا يتلقون رواتبهم من مداخيل الأوقاف فهي غير ثابتة ،إذ كانت مرتبطة بحجم العقارات الموقوفة و مداخيلها المالية .[1]

نلاحظ مما تقدم أنه ماعدا أصحاب الوظائف الإدارية و العسكرية و بعض التجار و أصحاب المعامل كانت تسمح لهم أجرتهم و مداخلهم المختلفة بمواجهة متطلبات المعيشة أما الفئات الاجتماعية الأخرى فإن وضعها كان صعبا و لاسيما في فترات الأزمات التي تعرف فيها أسعر المواد الأساسية ارتفاعا كبيرا ، و إذا كان هذا هو حال الفئات الاجتماعية في المدن فإن المجتمع الريفي بمختلف شرائحه كان يعتمد في معيشته على الإنتاج الفلاحي و تربية المواشي و الصناعة التقليدية والتجارة ، فكان أفراد الأسرة الواحدة ذكورا و إناثا يتقاسمون فيما بينهم مختلف الأعمال اليومية ، وكان دخل تلك الشرائح متفاوتا من أسر لأخرى ، فهناك الملاك الكبار و أصحاب الأراضي وقطعان الماشية و هناك الصناع و الحرفيون و التجار الذين كانوا يقتاتون من قوة سواعدهم و أخيرا هناك فئة الخماسين الذين كانوا يشتغلون في الفلاحة و الرعي عند الملاكين الكبار .[2]

[1] عبد الله محمد بن يوسف الشويحات : المرجع السابق ، ص 65 .

[2] F. DE HAËDO ; OP. CIT., R.A. N° 14 et 15, P 91.

# الفصل الثالث

أولا : العوامل الطبيعية المسببة للمجاعات

ثانيا : العوامل البشرية المسببة للمجاعات

ثالثا : أهم المجاعات في الجزائر

وانعكاساتها على الوضع الديمغرافي

**أولا : العوامل الطبيعية المسببة للمجاعات**

**1.الجراد** : إن الجراد آفة من الآفات الطبيعية التي حلت بالجزائر في العهد العثماني ، حيث كان يزورها كل أربع إلى خمس سنوات ، مسببا عدة مجاعات وموت الكثير من سكان البلاد فمن الفترات التي عرفت فيها البلاد الجزائري زحف الجراد نشير إلى السنوات التالية :

زحف الجراد 1794 م: و الذي ظهر في كل من الجزائر ، البليدة و المدية .

زحف جراد 1799 م: خلال فترة صيف وخريف سنة 1799 و ربيع سنة 1800 عرف الإقليم الغربي للجزائر زحفا للجراد الذي قضى على الزرع كلية و هذا ما جعل سكان المنطقة يهجرونها .

زحف جراد 1813 – 1814م: لقد ظهر الجراد في هذه الفترة بكثرة مقارنة بالفترة التي سبقتها ، حيث كانت المدن الشمالية أكثر تضررا منه حيث قال عنه مسلم بن عبد القادر : « ظهر في أيام الباي علي المعروف بقار بغلي جراد كثير غير معهود أفسد ما وجد وعم البلاد شرقا و غربا جوفا وقبلة »[1] ، حيث أنه أتى طائرا ثم غرس و أقام أياما في الأرض ثم خرج و أكل الزرع و الأشجار والثمار[2] , وهذا ما ترتب عنه مجاعات و هجرة المناطق التي حلَّ بها .

زحف جراد 1815 – 1816 م: لقد ظهر الجراد يوم 14 ماي 1815 م حيث قضى على بساتين كل من الجزائر البليدة و القليعة حيث قام بإفساد أغلب المزروعات وجرد الأشجار من أوراقها خلال زحفه من الجنوب نحو الشمال مما أنجز عنه إصابة الحيوانات بالمرض ولانعدام المزروعات كادت الضرائب العينية تنعدم تلك السنة[3] ، و زيادة على ذلك تسبب في مجاعة 1816 م مما أجبر عمر باشا على توزيع القمح على الخبازين و جعل له سعرا على سعر أيام الرخاء تفاديا للاضطرابات وبقي الأمر على هذه الحالة إلى أن وجد زرع جديد .[4]

[1] مسلم عبد القادر الوهراني : المرجع السابق ، ص 107 .

[2] أحمد الشريف الزهار : المرجع السابق ، ص 117 .

[3] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ( 1800 – 1830 )** ، المرجع السابق ، ص 56 .

[4] أحمد الشريف الزهار : المرجع السابق ، ص 117 .

زحف جراد 1822 – 1824م : و الذي عم مختلف أرجاء البلاد خاصة منطقة الهضاب العليا و الذي تسبب في مجاعة قسنطينة سنة 1822 م، ثم عاد مرة ثانية بعد سنتين في نفس المنطقة إلا أنه كان أخف من الفترة السابقة .[1]

[1] محمد صالح العنتري : **سنين القحط و المسخبة ببلاد قسنطينة** , مخطوط رقم 2330 , المكتبة الوطنية للكتاب , الجزائر , (د- ت ) ، ص 27 .

**2. الجفاف :**

يعتبر الجفاف عاملا من العوامل المسببة لحدوث المجاعة و من بين أهم السنوات التي ظهر فيها سنة 1597 إلى 1580 ومن 1612 إلى 1609والتي سجلها الأب قاسبارLe Pére de Gaspard ومن عام 1734 إلى 1737 ومن عام 1778 إلى 1779 م و كذلك سنة 1800 م و كذا من 1804 إلى 1808 م و أعوام 1816 ، 1819 ، 1827 م .[1]

جفاف 1804 – 1808 م : في سنة 1804 - 1805 م عرفت قسنطينة جفافا مهلكا أدى إلى قلة في الإنتاج وحدوث مجاعة مهلكة ، و في سنة 1808 م أصاب الجفاف مدينة جيجل خلال شهر ماي مما جعل السكان يخرجون إلى الطرقات و يؤدون صلاة الاستسقاء .

جفاف 1816 م : في هذه الفترة أصاب الجفاف منطقة وهران فارتفعت أسعار المواد الغذائية إلا أنها انخفضت بعد نزول المطر .

جفاف 1819 م: في هذه الفترة لقد أصيبت البلاد بنقص كبير في الحبوب مما جعل الجزائر تستورد كميات كبيرة منه من الخارج لسد حاجيات البلاد .

جفاف 1827 م: في هذه الفترة أصيبت منطقة وهران بجفاف أدى إلى غلاء في الأسعار مما أجبر الباشا على توزيع المواد الغذائية في الشوارع فسميت هذه السنة بسنة "خبز الباشا " .

[1] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات تاريخية في الملكية العقارية و الوقف و الجباية في الفترة الحديثة** , ط 1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 2001 ، ص 130 .

### 3. الزلازل :

لقد رافق كارثتي الجراد و الجفاف التي انتشرتا بالقطر الجزائري خلال العهد العثماني سلسلة من الهزات الأرضية العنيفة و الشديدة و التي تسببت في تخريب و تحطيم بعض المدن و لقد أسفر عن هذه الهزات في أحيان كثيرة خسائر في الأرواح و الممتلكات , و يعتبر الزلزال عامل من العوامل المسببة لحدوث المجاعات في الجزائر لما يسببه من خسائر بشرية و مادية و من أهم السنوات التي حدثت فيها الزلزال في الجزائر نذكر:

زلزال 1632 م: و الذي ضرب مدينتي الجزائر و المدية و قالت بشأنه بعض الروايات أنه أهلك جل سكان مدينة الجزائر .

زلزال عام 1665 م: صاحبه خسوف الشمس و تأثرت به حتى السواحل الأوربية .

زلزال 1676 م: الذي دام عدة أشهر , و تسبب في الثورة ضد الداي الذي نقم عليه الأهالي .[1]

زلزال 1716 م: الذي خرب من جرائه مدن شرشال و بجاية و مدينة الجزائر و تكررت نتيجة لهزات ارتدادية طيلة أيام الثالث والخامس والسادس والعشرون من شهر فيفري , و قد هلك من سكان الجزائر تحت الأنقاض مالا يقل عن 20000 نسمة , و نظرا لاشتداد حدة الزلازل اضطر الأهالي للخروج إلى ضواحي المدن و منها ضواحي مدينة الجزائر بعد أن تهدمت منازلهم مما جعل الداي يصر على معاقبة اللصوص و القضاء على أعمال الفوضى التي صاحبت هذه الزلازل , ثم تكرر حدوث الزلازل بمدن مليانة و عنابة و الجزائر أعوام 1723 – 1724 م و تضررت شرشال من جراء زلزال 1735 م .

زلزال 1755 م: يقال عنه زلزال لشبونة و هو زلزال قوي شمل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فلم يبق منزل لم يتأثر بحدثه في مدينة الجزائر و قد أدى هذا الزلزال إلى انقطاع المياه و تهدم الخبايا و قد صاحبه ظهور الحرائق لبعض الأحياء و شيوع أعمال النهب و الفوضى لمدة شهرين واستمر فيها تكرار الهزات الارتدادية الأرضية .

زلزال 1760 م: و هو زلزال كسابقيه كان شديدا و عنيف خرب مدينة البليدة و اضر ضررا بالغا بمدينة الجزائر , أدى هذا الأمر بالسكان إلى الالتجاء إلى البساتين .

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة** ، المرجع السابق ، ص 128 .

زلزال 1790 م: حدث هذا الزلزال بوهران و كان ذا فائدة على الجيش الجزائري الذي كان يحاصر المدينة تمهيدا لاسترجاعها من أيدي الإسبان .[1]

زلزال نوفمبر 1807 م: عرفت الجزائر زلزالا غير أنه كان أقل خطورة .

زلزال 1810 م: أصاب مدينة عنابة .

زلزال 1818 م: أصاب مدينة الجزائر .

زلزال مارس 1819 م: أصاب مدينة وهران و معسكر حيث أن مدينة معسكر تضررت منه بدرجة كبيرة مما انجر عنه موت عدد كبير من الضحايا .

زلزال 02 مارس و 05 ماي 1825 م: أصاب مدينة البليدة على الساعة السابعة صباحا حيث استغرق بين 15 و 20 ثانية مما خلف خوفا في نفسية السكان حيث أنهم فروا إلى الحقول وامتلأت حتى أصبح أصغر بستان في ضواحي مدينة البليدة يضم ما بين 20 و30 شخصا , كما امتلأت أيضا المساجد بالمصلين طالبين رحمة الله مما جعل السلطة تقرر أن تعيد بناء المدينة في مكان آخر غير أن الناس عادوا إليها بعد توقف الهزة حيث خلف هذا الزلزال من ورائه خسائر بشرية ما لا يقل عن 7000 جثة , توالت بعدها هزات أخرى أصابت الجزائر منها زلزال 1830 م و هذا ما أثر سلبا على الوضع المعيشي و الديمغرافي للبلاد .[2]

[1] أحمد الشريف الزهار : المرجع السابق , ص 155 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة** , المرجع السابق ، ص 128 .

**4. الفيضانات و الحرائق :**

اعتبرت الفيضانات و الحرائق من أهم الآفات و الكوارث التي أضرت بالجزائر خلال العهد العثماني بحيث تسببت في حدوث مجاعات و اختفاء الأقوات وموت الكثير من السكان , و لقد اعتاد الناس حدوث المجاعات إثر سنوات القحط و الجفاف و في أعقاب زحف الجراد الأمر الذي كان يؤدي إلى انتشار الأمراض و تكاثر الأوبئة .

و من بين الفيضانات التي عرفتها الجزائر و التي تميزت بفداحة خطرها نذكر منها تلك التي غطت فيها المياه مساحات شاسعة من متيجة إثر الفيضانات التي حدثت في شهر مارس 1673 م و عام 1694 م ، كما أن منشآت المرسى و السفن الراسية بها تعرضت للتلف إثر العواصف الهوجاء التي تميزت بها السنوات الأتي ذكرها اعتمادا على دفاتر السفن الأوربية و تقارير البحارة و هي كالتالي : سنة 1592 م تحطمت كثير من السفن في ميناء الجزائر ، سنة 1619 م أتلفت 25 سفينة بمرسى الجزائر كما تكررت حوادث الغرق و جنوح السفن و تحطيمها في السنوات التالية التي تميزت بشدة العواصف البحرية : 1690 - 1691 - 1697 – 1701 – 1703 – 1705 – 1709 - 1727 - 1731 - 1733 - 1734 - 1736 - 1740 - 1753 - 1755 - 1757 -1791 - 1812 - 1816 .[1]

و نتيجة لهذت تضررت أوضاع الجزائر الاقتصادية و مما زاد الطين بلة سوء تصرف الحكام و انعدام الأمن و شيوع الاضطراب الذي ارتبط بظهور الأمراض الفتاكة و الحوادث الطبيعية المدمرة , الأمر الذي أدى إلى تشتت وهلاك الكثير من سكان الجزائر و اشتداد الضائقة الاقتصادية بفعل غلاء الأسعار و شح الأقوات و إتلاف المزروعات , و بذلك تناقص عدد السكان و بقيت مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية غير مستغلة و تحول جزء من هذه الملكيات إلى مؤسسة الأوقاف .

[1] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، المرجع السابق ، ص558 .

**ثانيا : العوامل البشرية المسببة للمجاعات**

إضافة إلى العوامل الطبيعية هناك عوامل بشرية تسببت في حدوث المجاعات التي عرفتها البلاد في تلك الفترة على الصعيدين الداخلي و الخارجي :

**1. على الصعيد الداخلي :**

لقد تسببت الاضطرابات الداخلية في هذه الفترة في حدوث مجاعات مما انجر عنه نقص في عدد سكان البلاد و من بينها :

الثورات ضد اليهود : و التي كان من أبرزها في السنوات التالية : 1801 – 1804 – 1805 – 1815 م و أخطرها كانت يوم 28 جوان 1805 م و التي قامت بسبب تزايد نفوذ اليهود وتواطؤ الداي مصطفى باشا معهم , حيث ترك هذا الأخير لهم كامل الحرية في تسيير العلاقات التجارية مع الخارج و ذلك بتصديرهم الحبوب إلى أوربا و في نفس الوقت كانت البلاد تعيش مجاعة فتاكة فكانت النتيجة هي قيام السكان بثورة قضوا فيها على الداي مصطفى باشا و رئيس اليهود نفتالي بوشناق و الذي قتل على يد انكشاري يدعى يحي و هو يقول له : « سلام عليك يا ملك الجزائر » .[1]

الثورة الدرقاوية : يعود تأسيس الطريقة الدرقاوية إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي المولود في مراكش عام 1733 م حيث كان ينتمي إلى قبيلة بني زروال شمال مدينة فاس ، تعلم التصوف على يد الشيخ علي بن عبد الرحمان الجمال الإدريسي الفاسي شيخ الطريقة الشاذلية ، و قد أسس الشيخ محمد العربي زاويته في" بوبريج " بفاس ، ثم انتشرت في شمال المغرب الأقصى و غرب الجزائر.[2]

و تعد الدرقاوية من أشهر الطرق التي أشهرت العداء ضد العثمانيين أواخر عهدهم بالجزائر، حيث ارتكزت تعاليمها على القوة و الابتعاد عن السلطة التي كانت معادية لها، فهم يمقتون كل

[1] ناصر الدين سعيدوني : **الجزائر في تاريخ العهد العثماني** ، وزارة الثقافة و السياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984, ص 42 .

[2] جمال قنان : **نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 – 1830** ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1887 ، ص 254 .

واحد يمارس سلطة سياسية على غيره ، لهذا كانوا مجانبين للسلطة ، و يتميز أتباعها باللحية الطويلة و لبس الخرقة و العقد و حمل العصا و يلقب كل واحد من أتباعها " ببودربالة " .[1]

بلغ عدد أتباعها عام 1796 م في الجزائر حوالي 9567 منخرط موزعين على 10 زوايا و من أشهر الطرق المنحدرة منها نذكر الطريقة العلوية للشيخ أحمد بن مصطفى المتوفي بمستغانم عام 1934 م و الطريقة الهبرية للشيخ محمد الهبري المتوفي بمغنية أوائل القرن 20 م إلى جانب طرق فرعية أخرى كالكتانية بالمغرب الأقصى , و تعد الثورة الدرقاوية من أكبر و أخطر الثورات التي شهدها العثمانيون منذ بداية تواجدهم بالجزائر حيث كانت هذه الطريقة تتلقى الدعم من المغرب الذي لعب دورا أثناء ثورتها التي تزعمها الشيخ محمد بن علي الإدريسي مرابط ( عين الحوت ) بتلمسان سنة 1736 م التي استمرت إلى غاية عام 1759 م ، حتى أصبحت تلمسان شبه مستقلة عن سلطة البايلك و قد انتهج ضدها الباي محمد الكبير سياسة تعسفية حيث دخل بجيشه تراب المغرب كتهديد للمغاربة لكن عقد السلم بينه و بين مولاي يزيد عام 1789 م .[2]

ثورة ابن الأحرش : إن الثورة التي قامت بالشرق الجزائري هي ثورة " ابن الأحرش " بقسنطينة هذا الأخير لا تذكر عنه المصادر سوى القليل عن تاريخه و قد اشتهر بالبودالي أو بالشريف المغربي و قال عنه المزاري و الزياني « بأنه فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة درعي النسب » ، أما العطار فقال عنه: « أنه رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء فاس » ، و حسب الأستاذ سعيدوني فإن انتسابه إلى المغرب لا يعني أنه فعلا من المغرب بل جرت العادة في هذه الفترة أن كل غريب يدعي النسب و يدعو إلى طريقة أو حركة ثورية غالبا ما ينسب نفسه إلى الساقية الحمراء أو منطقة سوس ، و هذا حتى يكسب هيبة و مكانة لدى العامة .[3]

اشتهر أمر ابن الأحرش بعد رجوعه بقافلة الحج التي قادها من المغرب عام 1804 م ، و قد صادف عند مروره بمصر الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون حيث انظم مع جماعة من المغاربة إلى الجنود المصريين و قد أكسبته مشاركته ضد الفرنسيين شهرة لما أبداه من شجاعة ، و هنا تشير الروايات الفرنسية إلى بداية الاتصال بين ابن الأحرش و الإنجليز الذين قدموا له عدد من السفن لنقل

---

[1] شناوي أحمد و آخرون : **دائرة المعارف** ، ج 9 ، دار الهدى للنشر و الطباعة ، ( د – م – ت ) , ص 199 .

[2] جمال قنان : المرجع السابق ، ص 250 .

[3] ناصر الدين سعيدوني : **ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي و الانتفاضة الشعبية** ، مجلة الثقافة ، العدد 68 ، الجزائر ، 1983 , ص 201 .

الحجاج المغاربة إلى بلادهم ،كما أغروه بالهدايا و الأسلحة للثورة ضد العثمانيين و هذا من أجل القضاء على المصالح الفرنسية بالجزائر و من جملة ما قدم له بندقية ذات ثلاث طلقات [1] , و هي من المخترعات الحديثة آنذاك و حسب الأستاذ الزبيري فإنه لا نستبعد دور بريطانيا في تشجيع ابن الأحرش لأنها كانت تحسد فرنسا على الامتيازات التي حظيت بها في الشرق الجزائري ، لأن التنافس كان شديدا بينهما بهدف اكتساب مناطق نفوذ و امتيازات في الجزائر .[2]

و ما يظهر لنا الدور الأجنبي و علاقته بثورات القرن 18 م ما تبرزه إحدى الوثائق الإسبانية «إن حماس العرب للاستقلال هو نفسه في كل جهة و لا يرغبون في غير ذلك معتمدين على مساعدتنا مساعدة إنجلترا حسب الرسائل التي نتسلمها منهم ، و هم يعرضون علينا مقابل هذه المساعدة تسويق جميع منتوجات هذا البلد...» [3].

بعد هذا بدأت مرحلة أخرى من حياة ابن الأحرش استهلها بالتعرف على مدينة عنابة التي نزل بها ثم رحل إلى مدينة قسنطينة و بعدما أطلع على أحوالها توجه نحو جيجل حيث بدأ يخطط لثورته يتصل بالقبائل القاطنة بين جيجل و القل و ميلة ولم يلبث أن اكتسب الأنصار و كان من بين مناصريه قبائل عيدون و بني مسلم و بني خطاب و مما ساعده على كسب تأييد هذه القبائل لدعوته استقراره بزاوية " سيدي الزيتون " ناحية جيجل التي كان يقدم فيها دروسا لتفقيه الناس ثم تأسيسه لمعهد " بني فرقان " نواحي جيجل لتلقين العلوم الدينية ، و في هذا المعهد كشف عن مشروعه الرامي إلى الثورة ضد العثمانيين حتى يخلصهم من ظلمهم ، و كان هذا بعدما لمس المآزرة القوية من طرف هذه القبائل .[4]

و زيادة على هذا فإن المصادر تشير إلى أنه كان يتصف بالحيلة و الطموح و يشتهر ببلاغة أسلوبه و فصاحة لسانه في مخاطبته الناس و قدرته على الإقناع ،كل هذه العوامل كانت وراء تقدير الناس له و التفافهم حوله خاصة بعدما أعلن الجهاد ضد النصارى ،حيث كان يمارس القرصنة بجيجل حسب ما ذكره فايسات ، و لهذا الغرض سلح عدة سفن بميناء جيجل لمراقبة السفن الفرنسية المترددة على

---

[1] أحمد الشريف الزهار : المرجع السابق ، ص 85 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي و الانتفاضة الشعبية** , المرجع السابق ، ص 215 .

[3] مولاي بلحميسي : **الثورة على الأتراك في الجزائر شواهد مشتقات من رسائل إسبانية منشورة** ، مجلة الثقافة ، العدد 48 ، 1978 ، ص 47 .

[4] ناصر الدين سعيدوني : **ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي و الانتفاضة الشعبية** , المرجع السابق ، ص 215 .

سواحل القل و جيجل لصيد المرجان و التجارة و قد تمكنت إحدى سفنه في شهر جوان عام 1803م من الاستيلاء على إحدى السفن الفرنسية و قتلوا بعض بحارتها و أسروا منهم 34 بحارا وقد حاولت حكومة الداي استرجاع الأسرى لكنها فشلت و عاد بحارتها إلى مدينة الجزائر ، فبعث له الباي صندوقين مملوءين بالهدايا مع شخص يدعى " الحسن بن تليلن" الذي أعماه الطمع و أراد فتح أحد الصناديق الذي انفجر بين يديه ، و لما سمع ابن الأحرش بما جرى اعتبرها خديعة و أعدم عددا من الأسرى .[1]

و الواقع أن ابن الأحرش استطاع الوصول إلى هدفه باستعمال أساليب بسيطة تتوافق و عقلية سكان الريف فاستطاع توجيهها لخدمة حركته و اكتسب بذلك أتباعا مخلصين له مؤمنين بقدراته و بالتالي و بالرغم من الصدى الذي لقيته ثورة ابن الأحرش و التفاف القبائل حوله إلا أنه فشل في مسعاه الرامي إلى الحد من تعسف و ظلم العثمانيين ، رغم الأساليب التي اعتمدها لكسب القبائل بالشرق الجزائري إلا أن تبنيه للطريقة الدرقاوية لم يمكنه من إيجاد أنصار أكثر ولاء له ، خاصة و أن الشرق الجزائري كان أغلب سكانه ينتمون إلى الطريقة الرحمانية المهادنة للحكام العثمانيين فلم ينضم إليه من شيوخ الزوايا و المرابطين إلا من كان معاديا للسلطة و ناقما عليها مثل المرابط الزبوشي و المرابط بن بعريش و المرابط بن بركات الذي جند القبائل المجاورة لبجاية .[2]

أما عن موته فيذكر صاحب " التحفة " أنه قتل على يد ابن الشريف و قد ذكر هذا بقوله « أن ابن الأحرش بعد قراره و التحاقه بابن الشريف في الجهة الغربية بقي في معيته إلى أن دس له من قتله من أصحابه و نحن و إن كنا نؤكد هذا الخبر إلا أننا لا نستبعده لأنه كان منافسا خطيرا له ، خاصة و أنه أظهر استقلاله عن شيخ الطريقة الدرقاوية مولاي العربي ، و نقلت جثته إلى مدينة فاس بطلب من السلطان المغربي .[3]

و بالرغم من القضاء على هذه الثورة إلا أنها خلفت آثار سلبية على أوضاع البلاد لما حل بها من محن ، و هو ما يؤكده العنتري بقوله « فحصلت للناس شدة و مجاعة ، قد أشرف فيها الضعفاء على

---

[1] غربي الغالي : **الانتفاضات الشعبية في الجزائر منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى الاحتلال** , رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، قسم التاريخ ، دمشق ، 1985 , ص 163 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي و الانتفاضة الشعبية** , المرجع السابق ، ص 213 .

[3] ابن سحنون : **الثغر الترجماني في ابتسام الثغر الوهراني** ، تحقيق و تقديم البوعبدلي المهدي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1973 ، ص 43 .

الهلاك و تفرقوا بسبب الهول الواقع » [1] ، و لا يختلف عنه الزياني و مسلم بن عبد القادر أو الزهار الذي يصفها « بنار الفتنة » .[2]

ثورة ابن شريف : ينسب المؤرخون الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري إلى" محمد بن عبد القادر بن الشريف الفليتي الذي يعود أصله إلى قبيلة " كسانة " القاطنة بوادي العبد جنوب سهل غريس ، وقد درس مبادئ اللغة العربية في مسقط رأسه في قرية " أولاد بليل " ثم التحق بمعهد القيطنة التابع للطريقة القادرية الذي كان يرأسه الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر بعدما رحل إلى المغرب حيث درس بزاوية الشيخ محمد العربي ببني زروال الذي لقنه مبادئ الطريقة الدرقاوية و بعدما أجازه عاد إلى مسقط رأسه لتلقين مبادئ الطريقة بعدما عينه شيخه مقدما لها .[3]

و قد استغرقت مرحلة الإعداد للثورة و جمع أكبر عدد من الأنصار مدة خمس سنوات ( 1800م – 1805 م ) ، و لما أتم استعداده صادف هذا انهزام إحدى المحلات العثمانية أمام قبائل الأنجاد المتمردة ضدهم ، و قد استغل ابن الشريف هذا الوضع ليعلن الثورة فتوجه برجاله نحو البطحاء قرب واد مينا حيث كان معسكره ، و هنا وقعت اصطدامات بينه و بين رجال الباي مصطفى العجمي وسميت هذه الواقعة " بواقعة فرطاسة " ، كانت هذه الواقعة بداية للثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري بحيث لما وصل ابن الشريف إلى واد مينا أذن لأتباعه نهب أموال و ممتلكات محلة الباي ، و القبائل المؤيدة لها و لما بلغ الخبر الباي جمع عسكره و عاد طالبا إياه فالتقيا " بفرطاسة " عام 1805 م ، حيث اشتد القتال بينهما و هزم الداي و فرق جيشه الذي طارده الدرقاوي حتى أسوار معسكر .[4]

و قد امتد لهيب هذه الثورة من مليانة إلى غاية تلمسان ، و هنا بدأت الحاميات العثمانية في الانسحاب نحو المناطق الساحلية حيث انقطعت كل الطرق ماعدا الطريق البحري الذي كان المنفذ الوحيد لوصول الإمدادات إلى وهران .[5]

---

[1] محمد صالح العنتري : **مجاعات قسنطينة** , المرجع السابق ، ص 41 .

[2] أحمد شريف الزهار : المرجع السابق ، ص 87 .

[3] الناصري أبو العباس السلاوي : **الإستقصاء في أخبار المغرب الأقصى** , تحقيق و تعليق محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1956 ، ص 109 .

[4] أحمد شريف الزهار : المرجع السابق ، ص 87 .

[5] مسلم بن عبد القادر الوهراني : المرجع السابق ، ص 74 .

و كادت هذه الثورة في مرحلتها الأولى أن تقضي على الوجود العثماني بالمنطقة لو لا تدخل الداي الذي بعث جيشا بقيادة مستشاره " علي آغا " من أجل فك الحصار على وهران لكن اعترضت طريقه قبائل نواحي وادي الشلف و لم تتركه إلا بعد ما دفع لها المال بعد تدخل أحد مرابطي منطقة العطاف ليعود الجيش إلى مدينة الجزائر دون أن يتمم مهمته .[1]

الثورة التيجانية : تنسب الطريقة التيجانية إلى مؤسسها الشيخ أبو العباس أحمد مختار بن مسلم التيجاني المولود بعين ماضي سنة 1737 م , بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه على يد والده وسيدي محمد بن حمو التيجاني ، و لما توفي والده عام 1752 م خلفه في منصب التدريس ، و قد مال للتصوف و عمره عشرون عاما بعدما رحل إلى مدينة فاس عام 1758 م حيث احتك بعلمائها تعلم منهم الكثير ، و من فاس عاد إلى الجزائر حيث قضى فترة متجولا في الصحراء و تلمسان ليرحل بعدها لتأدية فريضة الحج ، و قد مكث بالمشرق سنتين ليعود ثانية إلى تلمسان التي لم يتمكن من الاستقرار بها لمضايقة باي وهران له ، و خلال تجواله هذا تلقى تعاليم الطريقة الخلوتية على مؤسس الطريقة الرحمانية أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الزواوي الأزهري .[2]

و من أشهر زواياها جنوب الصحراء قمار ، تماسين ، قورارة بتوات ، و قد امتدت زواياها حتى وسط القارة الإفريقية و بلاد السودان , أمام الضغوطات التي تعرض لها التيجاني لم ير سبيلا إلا إعلان الثورة على العثمانيين حتى يثأر لما حل بنفسه و بأهلها من قبل الباي حسن لهذا يقول الزياني: أن التيجاني لما رأى ما حل به بغير موجب حق ظهر له مقاتله الأتراك و الغزو على الباي حسن فاتصل بسكان غريس الذين بايعوه و اتفقوا معه على محاربة الباي حسن .[3]

و لتحقيق خطته كاتب الشيخ التيجاني القبائل الرافضة للسلطة العثمانية مثل بني عامر البرجية ، الزمالة ، و الدوار لكنها رفضت الدخول معه خوفا من الهزيمة لعدم تأكدها من قوة التيجاني بعدها اتصل بقبيلة الحشم التي انضمت إليه ، فقام الباي حسن بقتل إحدى عشر شيخا من الحشم بعدها زحف التيجاني بجيش قدر ب 600 رجل نحو معسكر لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها نظرا للمقاومة العنيفة التي لقيها من طرف سكانها و تمكن الباي حسن من هزيمة التيجاني بعد انسحاب

---

[1] الناصري أبو العباس السلاوي : المرجع السابق ، ص 110 .

[2] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 )** , المرجع السابق ، ص 518 .

[3] مسلم بن عبد القادر الوهراني : المرجع السابق ، ص 74 .

قبيلة الحشم ، و هذا حسب ما ذكره الزياني بعدما اشترى أعيان القبيلة و كافة العرب بالمال و يقال أن الباي أعطى الأعيان الحشم و كافة العرب أموالا كثيرة فأوقعوا به الهزيمة و فروا منه .

و رغم الخديعة إلا أن التيجاني صمد ولم ينسحب حتى قتل هو رفقة ثلاثمائة رجل و يصف لنا "الزهار " ما حل بهم بقوله « فقطعوا رؤوسهم و فرقوها على المدن لكي يعتبر الناس و بعثوا برأس الحاج محمد و معه بعض الرؤوس الأخرى للجزائر و أتوا بسيفه و بعض الحجابات ( التمائم ) التي كانت عليه و جعلوا رأس ولد التيجاني في عمود و صلبوه و علقوا الرؤوس الأخرى حوله ، و لكثرة ما كان الأتراك يخافونه بعثوا للسلطان محمود الثاني يبشرونه بقتله ، و بعثوا له بسيفه و الحجب التي كانت معه و احتوى الباي على أثقال التيجاني و أمواله و رجع إلى وهران » .

و من هنا فهذه الثورة هي الأخرى لم تحقق أهدافها حيث استطاع الباي القضاء عليها بسهولة وبكل عنف و ربما يرجع فشلها إلى كونها جاءت عفوية ولم تتسم بالتنظيم الذي شهدته الثورة الدرقاوية بالشرق و الغرب الجزائري .[1]

[1] أحمد الشريف الزهار : المرجع السابق ، ص 160 .

**2.على الصعيد الخارجي :**

لقد تسببت الحملات الأوروبية ضد سواحل الجزائر من حين لآخر في حدوث مجاعات و التي انجر عنها أيضا نقص في عدد السكان و من أهم هذه الحملات :

النزاع مع تونس : و الذي يعود إلى سنة 1807 م حيث شن باي تونس حمودة باشا هجوما على قسنطينة عام 1808 م ومحاصرتها لمدة 17 يوما في الوقت الذي كان فيه بايلك الشرق يعاني من مجاعة فتاكة ، و لم ينته هذا النزاع إلا بعد تدخل الباب العالي عام 1817 م هذا إضافة إلى النزاع مع المغرب الأقصى .

و ما يسعنا قوله أنه قد تضاربت و تداخلت عدة عوامل طبيعية و بشرية معرضة البلاد لمجاعات مهلكة و فتاكة و ذلك بتعطيلها لعجلة الإنتاج في شتى المجالات الحيوية للبلاد و انقطاع اليد العاملة و الذي نتج عنه قلة في الإنتاج و سوء الحالة المعيشية للسكان . [1]

حملة الولايات المتحدة الأمريكية 1815م :كانت العلاقات بين البلدين علاقة سلام و صداقة ، و كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقدم ترضيات في شكل هدايا ،كما تعهدت بدفع ضريبة سنوية في شكل عتاد و أجهزة حربية بمبلغ 21600 دولار، و في جانفي عام 1797 م بلغت تكاليف المعاهدة الجزائرية و المحافظة عليها مع الولايات المتحدة الأمريكية ما يقرب مليون دولار.

و في حين كان الأسطول منشغلا في حربه مع كل من إيطاليا و إسبانيا و هولندا و بروسيا والدنمارك و روسيا ، ففي 23 فيفري أعلن الكونغرس الأمريكي الحرب على الجزائر مباشرة ، و إثر ذلك تم تجهيز أسطول حربي بقيادة الكمودور وليام اينبريدج ( Bainbridge ) و قد أقلعت من بوسطن ، و الثانية بقيادة الكمودور استيفان ديكاتور ( Decature ) أقلعت من نيويورك و أصدر وزير العلاقات الخارجية الأمريكية تعليماته إلى قائدي الأسطول و السيد وليام شالر بعقد الصلح مع الجزائر على أن يتم بشروط الولايات المتحدة الأمريكية ، و إطلاق سراح الأمريكيين و ذلك بدون دفع ضريبة .[2]

و في 17 جويلية 1815م التقى الأميرال ديكاتور ببارجة الجزائرية بقيادة الرايس حميدو ، و بعد يومين من المعركة قرب الشواطئ الاسبانية استسلمت البارجة و قتل قائدها حميدو وثلاثون من بحارتها نتيجة لانهيار مدافع البارجة ، و لما علم الداي عمر باشا ( 1815 – 1817 م ) بمصرع الرايس

[1] جمال قنان : المرجع السابق ، ص 262 .

[2] وليم شالر : المرجع السابق ، ص 146 .

حميدو و مصير الأسطول قبل التفاوض مع الأمريكيين و وقعا الطرفان معاهدة في 30 جويلية تنص على إلغاء الإتاوة السنوية و إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين ، و دفع تعويضا ماليا قدره عشرة ألاف دولار .[1]

الحملة الإنجليزية الهولندية 1816م : بادرت هولندا بإرسال أسطولها الحربي إلى الجزائر في شهر جويلية 1815 م مقصد تجديد معاهداتها مع الجزائر ، لكن الداي عمر باشا رفض التفاوض مع الهولنديين قبل أن تدفع بلادهم الإتاوات المتأخرة ، و في تلك الظروف ظهر الأسطول الانجليزي في ميناء الجزائر عدة مرات .

و من بين التبريرات التي وجدتها انجلترا لحملاتها ضد الجزائر أن الجزائريين قد استولوا على سفينة في سواحل عنابة تحمل العلم الانجليزي ، و من جهة أخرى أسروا رعايا سردينيا و نابولي ، و في شهر أفريل عام 1816 م وصل الأسطول الإنجليزي إلى ميناء الجزائر قصد افتداء أسرى مملكتي سردينيا ونابولي .[2]

اتجه الأسطول الانجليزي نحو تونس و طرابلس حيث أبرم مع حكامها معاهدة سلم و جزر أسرى سردينيا و نابولي منهما بدون أن يدفع لهما فدية ، و في شهر ماي عام 1812 م عاد الأسطول الإنجليزي إلى ميناء الجزائر و لما علم اللورد إكسموث باستعداد الجزائر لمحاربة رفض العلم الأبيض وقبل تسوية مشكلة الأسرى في إطار الأوامر السلطانية , لكنها قررت تجهيز حملة ثانية ضد الجزائر بقيادة اللورد إكسموث يوم 28 جويلية 1816 م ، و انضم إليه الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال فون كابلان ( Van de Capellen) وكان هذين الآخرين على علم بالتحصنات ونقاط دفاعات مدينة الجزائر .

و أرسل اللورد إكسموث شروطه إلى الداي عمر و التي اقتضت تسليمهم جميع الأسرى المسحيين الموجودين في الجزائر ، و خلال ذلك تقدمت بعض قطع الأسطول الذي بلغ ثلاثون قطعة من التحصينات و بدأت تقصف مواقعها بالقذائف و قد علق شالر على هذه الأحداث فقال :« تصرف الداي تصرفا يتسم بقلة التصميم و الحزم و لا يليق بشخصيته ، فإنه لم يكتف بأن يعيد

[1] حمدان خوجة : **المرآة** ، المرجع السابق ، ص 90 .

[2] أحمد الشريف الزهار : المرجع السابق ، ص 118 .

رسول القائد البريطاني بدون جواب على إنذاره بل أنه سمح في نفس الوقت أيضا للأسطول المشترك بأن يختار المواقع الملائمة لقصف المدينة دون أن يخطر في باله مقاومته ».[1]

و لقد كانت شروط المعاهدة التي فرضها المنتصرون على الجزائر قاسية ، إذ نصت على إلغاء الرق و تحرير الأرقاء المسيحيون الموحدين في الجزائر بمختلف جنسياتهم ، و دفع تعويض حربي مقداره خمسمائة ألف فرنك ، و اعتذار الداي علانية عما جرى للقنصل الانجليزي , و الملاحظ أن هولندا هي أيضا عقدت معاهدة مع الجزائر ، و قد ألحقت خسائر مادية و بشرية بكلا الطرفين .

و من البديهي أن تكون للحملة نتائج خطيرة على نشاط البحرية الجزائرية منذ مطلع القرن التاسع عشر و تحرير الأسرى المسحيين دون فدية ضيع على الجزائر فرصة انتعاش الخزينة بحوالي مليونين من الريالات الفرنسية ، لذالك ازداد اهتمامهم بموارد الريف الاقتصادية و سد حاجياتهم من الأموال والثروات و هو ما يفسر إرسال الحملات العسكرية ذات طابع فصلي متجهة إلى الأرياف يتقدمها فرق الانكشارية وفرسان المخزن لجمع الضرائب الزراعية التي تقوم بسد و تغطية الجهاز الإداري للسلطة بتوفير الأقوات للموظفين و الجند و القائمين على الخدمات الاجتماعية و الاقتصادية .

[1] وليام شالر : المرجع السابق ، ص 156 .

**ثالثا : أهم المجاعات في الجزائر وانعكاساتها على الوضع الديمغرافي**

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني عدة مجاعات مهلكة وفتاكة ترتب عنها هلاك كثير من السكان و حتى الحيوانات و كان أثرها وخيما على الوضع الاجتماعي و الصحي و الاقتصادي للبلاد .

**1. أهم المجاعات :**

مجاعة 1579- 1580 م : التي ذكرت بعض المصادر عنها أن الناس كانوا يموتون من جرائها بأعداد لا تحصى وقدر بعض الرواة أن عدد ضحايا هذه المجاعة في مدينة الجزائر وحدها بلغ 5656 شخصا في فترة قصيرة لا تتعدى الشهر أي من 17 جانفي إلى 17 فيفري 1580 م .

مجاعة 1752 م : التي استمرت مدة أربع سنوات و ذهب ضحيتها 1700 شخص في مدينة الجزائر في مدة ثلاثين يوما و عقبها زلزال عام 1755 م .

مجاعة 1778 – 1779 م: و تميزت بوطأتها على الناس و التي ذكر عنها الشريف الزهار والعنتري أن الناس كانوا يموتون بالمئات في شوارع مدينتي الجزائر و قسنطينة .[1]

مجاعة 1787 – 1789 م: و التي كان من أسبابها الجراد مع الوباء .[2]

مجاعة 1794 م: و التي جاءت نتيجة لزحف الجراد الذي حل بكل من الجزائر و البليدة و المدية عام 1794 م ، انجر عنها غلاء في الأسعار خاصة القمح حيث أصبح يباع الصاع في مدينة البليدة بـ 07 دنانير و في مدينة الجزائر بـ 04 سلطاني و صاع الشعير بـ 03 سلطاني[3] , و بهذا عرفت البلاد انقطاع في الأقوات و شيوع الفوضى .[4]

مجاعة 1798 م: عرفت الجزائر في هذا العام نقصا كبيرا في مادة القمح باعتباره الغذاء الرئيسي للسكان ، و نظرا للوضعية التي تعيشها البلاد جعلت باي منطقة وهران يعطي تعليمات يمنع تصدير الحبوب إلى الخارج و لجوءه إلى عملية استيراد من أوروبا غير أن تلك التي استوردت لم تكف لسد حاجيات السكان مما دفع بالسكان إلى أكل المحرمات ، و هذا ما جاء في قول مسلم بن عبد القادر: « مسغبة عظيمة ، أهلكت فيها أمم كثيرة حتى أكلوا الميتة و الدم ولحوم بعضهم بعضا » .[5]

---

[1] أحمد الشريف الزهار : المرجع السابق , ص 144 .

[2] محمد صالح العنتري : **سنين القحط و المسغبة ببلاد قسنطينة** , المرجع السابق , ص 28 .

[3] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ( 1800 – 1830 )** ، المرجع السابق , ص 57 .

[4] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة** ، المرجع السابق , ص 130 .

[5] مسلم بن عبد القادر الوهراني : المرجع السابق ، ص 64 .

مجاعة 1800 م: و التي جاءت نتيجة لاجتياح الجفاف و الجراد لمنطقة وهران و ضواحيها إلى جانب وباء 1799 م حيث بقيت حقول المنطقة بدون حصاد ، مما انجر عنها اختفاء الأقوات من الأسواق ، مما جعل الداي مصطفى باشا يلجأ الى استيراد القمح من موانئ البحر الأسود و تشديد حراسة الجنود على مخازن الحبوب حيث بلغ صاع القمح المستورد 28 فرنك .[1]

مجاعة 1805 م: تعتبر هذه المجاعة من أخطر المجاعات التي حلت بالبلاد حيث عمت جميع أنحائها ، و كان سببها هو مرض أصاب الزرع و أفسده أما الباقي منه قضى عليه الجراد بالإضافة إلى الاضطرابات الناتجة عن الثورات المتتالية و انعدام الأمن الذي بدوره لم يشجع السكان على الحراثة والاهتمام بالأرض [2]، كما أن الكمية القليلة من الحبوب التي أنتجت قبل حدوث هذه الأهوال لم تخرج للأسواق [3], كما اضطر السكان إلى فتح مطاميرهم و توزيع ما كانوا قد خزنوه من الحبوب على الذين أشرفوا على الهلاك ، مما جعل الباي عبد الله يراسل الأعيان و يطلب منهم بعث ما فاض عليهم من شعير أو قمح حيث تولى هو بدوره توزيعه على الأهالي حسب الأولوية .[4]

و قد استمرت هذه المجاعة مدة ثلاثة سنوات حيث شهدت غلاء في الأسعار إذ بيع الصاع الواحد من الحبوب ب 15 بوجو ، وصاع القمح ب 15ريال و الشعير 07 ريالات ، و لم تعرف الأسعار انخفاضا إلا مع حلول سنة 1808 م [5] , نتج عن هذه المجاعة قتل الداي مصطفى باشا وكبير اليهود نفتالي بوشناق لاحتكارهما لتجارة الحبوب و تصديرها إلى أوروبا أثناء المجاعة .

مجاعة 1811 م: التي أصابت مدينة تلمسان حيث أدت إلى اضطرابات مما جعل باي وهران يحضر 900 جمل محملة بالقمح للحد من هذه الاضطرابات .

مجاعة 1816 م: كان سببها هو زحف الجراد و انقطاع الأمطار الذي حل بالبلاد مما أدى إلى اختفاء الحشائش و المزروعات من الحقول حتى في منطقة التل و الساحل[6] , غير أن الأوضاع تحسنت بوصول سفينة يونانية محملة بالحبوب .

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ( 1800 – 1830 )** ، المرجع السابق ، ص 56 .

[2] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 55 .

[3] محمد صالح العنتري : **سنين القحط و المسغبة ببلاد قسنطينة** , المرجع السابق ، ص 28 .

[4] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 57 .

[5] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ( 1800 – 1830 )** ، المرجع السابق ، ص 58 .

[6] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة** ، المرجع السابق ، ص 130 .

مجاعة 1819 م: في هذا العام عرفت البلاد كذلك نقص في الحبوب خاصة مدينة الجزائر مما دفع بالبلاد لاستيراد 50.000 صاع من القمح من أوروبا لتغطي حاجيات و استهلاك هذه المدينة وحدها و لم تقتصر هذه المجاعات على مدينة الجزائر وحدها بل تضررت منها أيضا أغلب نواحي البلاد خاصة المنطقة الشرقية .[1]

[1] ناصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ( 1800 – 1830 )** ، المرجع السابق , ص 57 .

## 2. انعكاسات المجاعات على الوضع الديمغرافي

أما الوضع الديمغرافي فقد كان انعكاسا صادقا للحالة الصحية و المعيشية و التي نستنتج منها أن الوضع الديمغرافي في الجزائر العثمانية كان يتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان و كثافتهم ، وذلك تبعا للظروف الصحية و الأحوال المعيشية و الشروط الطبيعية , و تعددت مجالات الديموغرافية التاريخية في الاهتمام بتاريخ السكان من زوايا عديدة انضوت تحتها الهجرة و الوفيات كأحداث ديموغرافية ناتجة عن جملة من الأسباب من بينها المجاعات و الأوبئة .[1]

❖ **الهجرة :**

إن ظاهرة الهجرة في المفاهيم الديموغرافية المعاصرة تندرج ضمن ما يسمى بالحدث المتجدد الذي يحصل أكثر من مرة لفرد ينتمي إلى مجموعة من الأشخاص غير أن الهجرة بسبب الجوع و الوباء اعتبرت ظاهرة مخلة بالعمران فحركة السكان نحو المدن أوقات هذه الأزمات يحدث فراغا عمرانيا رهيبا في الأرياف و يقابله اكتظاظ في المدن مما ينتج انحسارا في التمدن .[2]

إن المجاعة كانت من أبرز العوامل المتسببة في حركة السكان و هجرتهم من أوطانهم بحثا عن فرص أفضل للعيش ، و لهذا فإن مثل هذه الهجرة قد تحدث مشاكل اجتماعية لا حصر لها , كما أن إصابة سكان القرى و الأرياف بالسنة الشديدة أو الحوائج في منتوجهم الفلاحي كان يدفعهم بالهجرة إلى أوطان أخرى بحثا عن حياة أفضل .

زد على هذا سيطرة العثمانيين عليهم كان يدفعهم للهجرة بدل العيش في ظل سيطرة و ظلم هؤلاء و هذا ما بينته لنا إحدى نوازل المازوني ، و في هذا السياق ذاته تضيف إحدى النوازل التي تعبر عن مثل هذه الهجرات التي كان سببها الفقر و الجوع و التي سئل عنها عبد الرحمن الوغليسي بحيث يدور محتواها حول رجل فقير اضطرته الحاجة إلى السفر و كان عليه دين كبير و لم يترك لزوجته مالا و لا يعلم الناس هل هو حي أو ميت فهل تستحق زوجته الزكاة ، فكان جواب هذا الفقيه أن تعطي هذه الزوجة من الزكاة إن كانت على الحالة المذكورة .

غير أن المصادر لم تذكر لنا هجرة الفئات المثقفة من العلماء و الفقهاء و الصلحاء بسبب المجاعة في البدايات على غرار الآونة الأخيرة من الحكم العثماني ، و ربما يفسر ذلك بأن مستواهم المعيشي

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية** ، المرجع السابق ، ص565 .

[2] يوسف الأنكادي و نور الدين المودان : **المفاهيم الديمغرافية الحدث الديمغرافي و الظاهرة الديمغرافية** ، مجلة كنانيش ، العدد 03 ، ص 106 .

جيد و لم يتأثر كثيرا إبان فترة المجاعة هذا من جهة و من جهة أخرى قد يفسر ذلك بثبات هؤلاء أمام البلاء ليكونوا قدوة للناس في الصبر على الشدائد ، في حين أشارت بعض المصادر خصوصا التراجم إلى هجرة بعض العلماء و فقهاء و صلحاء الجزائر بسبب سوء الأحوال السياسية لاسيما في فترة الحروب و الحصارات , فالهجرة إذن سواء داخلية أو خارجية أم بين الأرياف و المدن كحدث ديمغرافي كان ناتجا خصوصا عن أزمات الجوع ، فهي إنما تدل على حاجة سكان الجزائر إلى تأمين غذائهم لتجاوز هذه الأزمة خارج مجال وقوعها .[1]

[1] يوسف الكندي و نور الدين المودان : المرجع السابق ، ص 100 .

❖ **الوفيات :**

إن الوفيات في حقل الديمغرفيا التاريخية تنطوي ضمن ما يسمى بالحدث الغير متجدد ، و الذي يحدث للفرد الذي ينتمي إلى مجموعة من الأشخاص مرة واحدة فقط فالوفيات كانت و لا زالت تعد الحدث المخل عن ظاهرة مخلة كظاهرتي الجوع و الوباء مثلا لأنها تؤدي إلى حدوث اختلال في ظاهرة الخصوبة عند العزاب ، و يحول ذلك دون زواج بين صفوف هؤلاء ، و من ثم يتراجع عدد السكان فتحدث الكارثة الديموغرافية خصوصا في أوقات الكوارث كالمجاعة و الأوبئة .

أما الوفيات الناتجة عن أزمة الجوع لا تعطينا المصادر صورة صريحة عن حجم الكوارث الديمغرافية والخسائر البشرية الناتجة عن المجاعات الواقعة في الجزائر خاصة في بدايات الحكم العثماني ، بل أغلب النصوص التي وردت حول ذلك كانت انطباعية و لئن كانت توحي لنا من جهة بفداحة هذه المجاعات إلا أنها لا تعبر لنا عن ذلك بلغة الأرقام ، كما أننا لا نملك عدد إجمالي لسكان الجزائر العثمانية إلا إذا استعرضنا عدد السكان الإجمالي عشية الاحتلال الفرنسي ( 1830 م ) .[1]

فبالنسبة لسكان الايالة الجزائرية يمكن القول بأن العدد الإجمالي كان يبلغ مع نهاية العهد العثماني حوالي ثلاثة ملايين أو أكثر ، و ذلك أخذا بأكثر الاحتمالات تواردا و طرح كل التقديرات الاعتباطية أو الإحصاءات المغرضة التي أدلى بها قادة الجيش الفرنسي إثر احتلالهم للجزائر ، و بالتالي لا نثق في صحة معلومات القادة الفرنسيين التي أنقصت عدد السكان إلى مليون نسمة أو أقل و إنما نحاول أن نلتمس الحقيقة من خلال بعض الإحصائيات المعتدلة مثل إحصاء بوتان في عام 1808 م الذي يقدر السكان بما لا يقل عن 2800,000 نسمة و لا يزيد عن 3000000 نسمة ، و إحصاء شالر سنة 1822م الذي يذكر فيه أن عدد السكان الخاضعين للحكم التركي يقدر ب 1870000 نسمة ، و كذلك إحصاء بيرو الذي يحدد السكان ب 2500000 نسمة و معلومات اللجنة الإفريقية 1832 م التي رأت أن العدد يتراوح ما بين 2000,000 و 4000,000 نسمة ، و تقديرات النشرة الإعلامية للجيش الفرنسي في 1830 م التي ترجح أن عدد سكان القطر الجزائري يناهز 1870000 نسمة ، فضلا عن تقديرات أخرى و ردت في عدة دراسات ذكرت أن عدد السكان الإجمالي للجزائر يقدر بمليون نسمة و1300000 و1500000و 2600000 و 2470000 و1600000 و 2800000 و300000 نسمة و ذلك عشية الاحتلال الفرنسي ، و هذا ما يجعلنا نرجح أن سكان البلاد الجزائرية

[1] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية** ، المرجع السابق , ص565 .

كانوا لا يقلون بأي حال من الأحوال عن 3000000 نسمة ، و لا يزيدون على الأرجح عن 4000000 نسمة .

و لأخذ مثال عن التطور الديمغرافي للمدن الجزائرية أثناء العهد العثماني و معرفة عدد الوافيات بسبب الكوارث الطبيعية و خاصة الموت بسبب المجاعة نحاول التعرف على تعداد سكان مدينة الجزائر باعتبارها نموذجا لباقي المدن ، فمدينة الجزائر عرفت في مطلع العهد العثماني نموا ديمغرافيا بسبب هجرة الأندلسيين و توافد اليهود و استقرار مجموعات من الأتراك و الأعلاج لممارسة الجهاد البحري و جلب الأعداد الكبيرة من الأسرى و هذا ما جعل سكان مدينة الجزائر الذين كانوا يقدرون ب 20,000 نسمة سنة 1518 م يصلون إلى 30,000 نسمة عام 1533 م ثم يتزايدون من 30,000 نسمة إلى ما يناهز 60,000 إلى 70,000 نسمة عام 1580 م و منهم أكثر من 21,000 نسمة من الأسرى المسحيين .[1]

و بعد أن عرف النمو الديمغرافي استقرارا دخل في مرحلة التراجع ابتداءا من منتصف القرن 17 م ، و تعود أسباب ذلك إلى توقف هجرة الأندلسيين و انتشار ظاهرة المجاعة و الأوبئة نظرا للاتصالات الكثيفة للجزائر مع العالم الخارجي ، كما أن البلاد تعرضت في عدة فترات للكوارث الطبيعية ، وكذا الحروب الداخلية و الخارجية .[2]

و قد كان لهذه العوامل تأثير سلبي على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية ، مما تسبب في تدهور الحياة المعيشية للسكان و ارتفاع عدد الوفيات و تناقص عددهم , كما عرف نشاط البحرية الجزائرية تناقصا محسوسا نتيجة ظهور الأساطيل الأوربية كقوة بحرية رادعة هيمنت على حوض البحر المتوسط ، و وقفت في وجه الأسطول الجزائري و قد ظهر أثر ذلك في تقلص الغنائم و انخفاض عدد الأسرى المسحيين في الجزائر من نحو خمسة و عشرون ألف في القرن 17 م إلى نحو عشرة ألاف في القرن 18 م ، و لم يكن يتجاوز في مطلع القرن 19 م أربعمائة أسير .

و مهما تنوعت و اختلفت الإحصائيات المتعلقة بعدد السكان في الجزائر فإن الحقيقة المؤكدة هي أن المجتمع الجزائري تعرض في أواخر القرن 18 م و مطلع القرن 19 م إلى عدة كوارث طبيعية وآفات مختلفة خاصة المجاعة ، أدت إلى تناقص عدد السكان في الأرياف و المدن و إذا كان من الصعب

[1] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية** ، المرجع السابق , ص566 .

[2] محمد صالح العنتري : **مجاعات قسنطينة** ، المرجع السابق ، ص 82 .

الحسم في عددهم ، فإننا نرجح ما ذهبت إليه الدراسات العلمية الحديثة نظرا إلى ما تتميز به من جدية و إلى خضوعها لمنهج علمي دقيق .[1]

نستخلص مما تقدم أن بعد الركود العام الذي عانت منه الجزائر في أواخر القرن 15 م فإن سرعان ما تحسنت الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ، مما ساعد على ارتفاع عدد سكانها ابتداءا من أواخر القرن 16 م ، و قد كان لإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية و توافد العثمانيين والأندلسيين دور في ازدهار الجزائر و تعميرها إلا أن هذا النمو قد عرف تراجعا منذ منتصف القرن 17 م ، و تعود الأسباب إلى تناقص عدد الوافدين و كذا اشتداد وطأة المجاعة التي أودت بحياة عدد كبير من السكان.

إن الموت بسبب الجوع كان يؤدي إلى التناقص كبير و سريع في عدد سكان الجزائر العثمانية آنذاك ، و إن كانت المصادر قد أعطتنا عن ذلك صورة فيها كثير من ضبابية إلا أن الإحصائيات في الآونة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر توحي لنا بفداحة الخسارة البشرية التي تخلفها المجاعة داخل هذا المجتمع .[2]

[1] ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية** ، المرجع السابق , ص578 .

[2] حمدان خوجة : **المرآة** ، المرجع السابق ، ص 95 .

# خاتمة

من خلال دراستنا للأوضاع الصحية و المعيشية للجزائر خلال العهد العثماني توصلنا إلى أن الجزائر كانت قوة كبرى حيث كانت تعيش في رخاء و استقرار سياسي غير أن أوضاعها ما فتأت أن تدهورت و ضعفت قوتها و تقلص نشاطها البحري في حوض البحر المتوسط .

و قد اجمع المؤرخون على أن مصادر الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني كانت تنتقل من الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الابيض المتوسط و انفتاح الجزائر على العالم الخارجي ، و نظرا لعدم اهتمام الحكام العثمانيين بميدان الصحة و اعتماد المجتمع الجزائري على الطب التقليدي بدلا من الطب الحديث و عدم اتخاذهم الإجراءات الوقائية الكافية زادت الأحوال الصحية سوءا حيث انحصرت أماكن العلاج في بعض المصحات و الملاجئ .

لقد عاش المجتمع الجزائري في ظل هذه الأزمات أوضاعا مزرية من أبرز مظاهرها الاقتصادية انخفاض محسوس لمستوى المعيشة صاحبة ارتفاع قيمة الأسعار و نفاذ الأغذية من المخازن ، حيث اتسمت الأوضاع الاجتماعية بالفوضى و الاضطرابات و تأثرها بالأمراض و الأوبئة و حتى الكوارث الطبيعية ، مما أدى الى انعدام الأمن الذي ساعد على تخريب المدن ، و لقد كانت المجاعات و الأوبئة عوارض اجتماعية لا اقتصادية فقط و كان لها نتائج وخيمة على المجتمع الجزائري و من بينها انتشار الفقر و البطالة ، و من جهة أخرى إن عدم اهتمام العثمانيين بالجانب الاقتصادي قد سبب عدد من المشكلات التي أثرت سلبا على الإنتاج الزراعي و الواقع التجاري في نفس الوقت و لارتباط الزراعة بالتجارة المحلية و الخارجية كانت هناك اخفاقات اقتصادية امتدت طوال العهد العثماني .

فبالرغم من الإمكانيات التي توفرها الزراعة فإنها لم تستغل بشكل جيد بحيث تعود بالفائدة على عامة الناس ، كما أن عدم تطوير وسائل الانتاج و ثقل الضرائب و الكوارث الطبيعية التي كانت تحل بالبلاد قد كانت سببا في تدهور الزراعة و ضعف مردودها .

و رغم كل هذه الأحوال التي مرت بها الجزائر إلا أن الصناعة كانت أحسن تنظيما في المدن غير أنها لم تعرف تطورا و هذا ما جعل صادراتها ضئيلة و يمكن ارجاع سبب ذلك إلى احتكار الدولة للمواد الأولية ، كما أدى انغلاق الصناع الجزائريين على أنفسهم إلى عدم تبادل الخبرات فيما بينهم مما أثر سلبا على الصناعة .

أما التجارة فقد كانت تتمثل أساسا في الاسواق التي كانت تعقد في يوم من أيام الاسبوع في الأرياف ، و قد كانت كلها تحت مراقبة الادارة العثمانية التي عرفت كيف تجعل منها وسيلة لإخضاع القبائل الممتنعة و استخلاص الضرائب منها .

و لقد تزامن انتشار الامراض و الاوبئة الفتاكة مع ظهور و تفاقم الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الجزائر في تلك الفترة كالزلازل و الفيضانات و المجاعات إضافة إلى الثورات و الفتن التي حدثت وهذا ما أثر سلبا على مختلف الجوانب و ألحق خسائر مادية و بشرية فادحة بالمجتمع الجزائري .

أثرت الكوارث الطبيعية و الآفات الاجتماعية و الأمراض سلبا على الوضع المعيشي للسكان مما انعكس على مختلف المجالات الحيوية للبلاد من اقتصاد و سياسة و تجارة و غيرها ، و بالتالي كان الوضع المعيشي يعتبر المرآة العاكسة لكل الاحوال التي عرفتها البلاد آنذاك .

إن المجاعات و الأوبئة كعوارض تصيب الحضارات كانت وطأتها شديدة على سكان المجتمع الجزائري ، فحالت دون صيرورتهم الحضارية فكلما طمحوا الى الارتقاء كانت مثل هذه الأزمات تقف حائلا أمام العديد من الطموحات الاقتصادية أو الاجتماعية .

و من هذا وذاك يمكن القول أن الحالة الصحية الجزائر خلال الفترة ما بين 1519-1830 م كانت سيئة للغاية لتعرض البلاد لأمراض فتاكة مخلفة العديد من الضحايا بالرغم من أن البيئة الجزائرية بيئة صحية سليمة بطبعها ، و أن إهمال السكان لقواعد الصحة و اتصال البلاد بمختلف القارات جلب إليها الأمراض مع توفر ظروف طبيعية ساعدتها على التمركز بالبلاد و ساهمت بشكل واضح في التأثير على الوضع المعيشي للسكان و على رأسها المجاعات .

و في الأخير نتوصل إلى أن كل هذه العوامل الطبيعية و البشرية تضافرت و تداخلت فيما بينها وأدت إلى اختلال التوازن الداخلي و الخارجي ، مما أثر بصفة سلبية على الحالة الصحية و الاقتصادية و الاجتماعية ، مما ساهمت بشكل كبير في اختلال توزيع السكان و الحالة الديمغرافية للبلاد .

و بهذا وصلت الجزائر مرحلة حاسمة في تاريخها ، و التي تعتبر نتيجة حتمية لهذا الوضع ، إذ أصبحت لقمة سهلة المنال و في متناول فرنسا الاستعمارية ، و التي نفذت مشروعها للاستحواذ على الجزائر عام 1830 م ، فكانت هنا حقا النتيجة المأساوية للجزائر العثمانية .

# قائمة المصادر و المراجع

**القرآن الكريم** : برواية ورش عن نافع ، ط1 ، دار القرآن الكريم من النشر و التوزيع ، لبنان ، 2011 .

**قائمة المصادر بالغة العربية :**

1.بفابفز سيمون : **لمحة تاريخة عن الجزائر** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974

**2.** خوجة حمدان بن عثمان : **اتحاف المنصفين و الأدباء في الاحتراس من الوباء** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1968.

3.خوجة حمدان بن عثمان : **المرآة ،لمحة تاريخية عن ايالة الجزائر** ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1972 .

4.ابن خلدون :**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،** ج7 ، مجلد 6،دار الكتاب اللبناني ،بيروت، 1983.

5.الراشدي أحمد بن علي بن سحنون : **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني** ، تحقيق و تقديم البو عبدلي المهدي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1973.

6. الزهار أحمد الشريف : **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر** ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974.

7. شالر وليام: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر ( 1816 – 1824 )** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، (د – م) ، 1982 .

8. العنتري محمد الصالح : **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها أ( تاريخ قسنطينة )** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1991.

9.العنتري محمد صالح : **سنين القحط والمسبخة ببلاد قسنطينة** ،مخطوط رقم 2330 ،المكتبة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،( د–ت).

10. العنتري محمد الصالح : **مجاعات قسنطينة** ، تحقيق و تقديم رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974.

11. كاثكارت جيمس لندر : **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب** ، ترجمة : إسماعيل العربي ، ( د – د – ن ) ، الجزائر ، 1982.

12. الكناني ابن سلمون : **العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام** ، ط1 ،المطبعة العامرية الشرقية ،مصر ،1301هـ .

13. لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر ( 1790 – 1830 )** ، ترجمة: حمادي الساحلي ، مطبعة سراس ، تونس ، 1994.

14. الناصري أبو العباس السلاوي: **الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى**. تحقيق و تعليق جعفر الناصري– محمد الناصري ، دار الكتاب، الدار البيضاء ،1956 .

15. مسلم عبد القادر الوهراني: **خاتمة أنيس الغريب و المسافر سلسلة ذخائر المغرب العربي** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974

16. مجهول : **سيرة الزواوة** ، المخطوط رقم 3012 ، المكتبة الوطنية الجزائرية ،الجزائر.

**17.** الورتيلاني الحسين : **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار ( المشهورة بالرحلة الورتيلانية )** ، تصحيح محمد بن أبي شنب ، مطبعة بيار فونتانا ، الجزائر ،1908 .

**قائمة المراجع بالغة العربية:**

1. أشنهو عبد الحميد (بن): **حول الأتراك العثمانين في الجزائر** ، ( د – د – ن ) ، الجزائر ، 1872 .

2. بلحميسي مولاي : **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979 .

3.بروكلمان كارل : **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ترجمة : منير البعلبكي و أمين فارس ، ط1 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، 1948.

4. بوعزيز يحي : **الموجز في تاريخ الجزائر** –جزائر حديثة– ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.

5. بوعزيز يحي:**مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1999.

6. الجمل يحي : **الأنظمة السياسية المعاصرة** ، دار النهضة العربية للنشر ، بيروت ، 1969 .

7.حليمي عبد القادر : **مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830** ، ط1 ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 .

8.حليمي عبد القادر: **جغرافية الجزائر ( طبيعية ، بشرية ، اقتصادية )** ، ط1 ، الجزائر ،1968.

9.خير فارس محمد: **تاريخ الجزائر الحديث (من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي)**، مكتبة دار الشرق، ط 2 – بيروت 1979

10. دودو أبو العيد : **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان ( 1830 – 1855 )** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989.

11. دودو أبو العيد: **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974 .

12. الزبيري محمد العربي : **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين ( 1792 – 1830 )** ، ط 2 ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984.

13. سبنسر وليم : **الجزائر في عهد رياس البحر** ،ترجمة :عبد القادر زياد ،الشركة الوطنية للنشر ،الجزائر.

14. سعيدوني ناصر الدين : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ( 1800 – 1830 )** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979 .

15. سعيدوني ناصر الدين : **ورقات جزائرية**، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000.

16. سعيدوني ناصر الدين : **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة** ، ج 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1988

17. سعيدوني ناصر الدين : **دراسات تاريخية في الملكية العقارية و الوقف و الجباية في الفترة الحديثة** ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001.

18. سعيدوني ناصر الدين والشيخ بوعبدلي المهدي :**الجزائر في تاريخ العهد العثماني** ،وزارة الثقافة والسياحة ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984.

19. سعد الله أبو القاسم: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الاحتلال )** ، ط 3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 .

20. سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 )** ، ج 1 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998.

21. السعيد سليمان أحمد: **تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل** ، دار المعارف المصرية ، ( د – م ) ، 1979 .

22. شحاته حسن إبراهيم : **وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب** ،(قراءة تاريخية عبر العلاقات – المغرب الدولة في ق 16) دار الثقافة ، الدار البيضاء 1979.

23. شوفاليه كورين : **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510 –1541م )** ،ترجمة حمادنة جمال ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007.

24. الشويحات عبد الله محمد الحاج يوسف : **قانون الأسواق** ، مخطوط رقم 1778 ، المكتبة الوطنية الجزائرية .

25. صالح عابد : **الجزائر خلال الحكم التركي ( 1514 – 1830 )** ، ط 3 ، دار هومه ، الجزائر ،2011 .

26. عقاب محمد الطيب : **الأخوان عروج وخير الدين** ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،1985م.

27. عقاب محمد الطيب : **قصور مدينة الجزائر في أوخر العهد العثماني** ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2000

28. العقاد صلاح : **المغرب في بداية العصور الحديثة**، دار المعارف ،مصر 1963/1962.

29. الفلالي عبد العزيز :**تلمسان في العهد الزياني** ،ج[1]، دار المعارف للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2002.

30. فركوس محمد صالح : **الحاج أحمد باي قسنطينة ( 1826 – 1850)** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 .

31. قلعهجي محمد رواس وحامد صادق القنبي : **معجم لغة الفقهاء**، ط2 ،دار النفائس ،بيروت ،1988

32. قنان جمال ، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، 1500– 1830**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر ، 1887.

33. ونيس فريدة (بن): **المجوهرات والحلي في الجزائر** ، سلسلة الفن والثقافة ، وزارة الإعلام و الثقافة ، 1976 .

**قائمة الموسوعات :**

1.الشويخات أحمد : **الموسوعة العربية العالمية** ، مؤسسة أعمال الموسوعة لنشر و التوزيع ، الأردن ، 2003 .

2.شناوي أحمد ،وآخرون :**دائرة المعارف** ،ج9 ،دار الهدى للنشر والطباعة ،الجزائر .

**قائمة الأطروحات :**

1.سيساوي أحمد: **النظام الإداري بايلك الشرق ( 1791 – 1800 )** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة قسنطينة ، 1987- 1988.

2.شويتام أرزقي : **المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني ( 1519 – 1830 م )** ، رسالة لنيل دكتوراه دولة ، جامعة الجزائر ، 2005 .

3.شويتام أرزقي : **نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، قسم التاريخ ،جامعة الإسكندرية ، 1988.

4.عليو محمد : **الحياة الاقتصادية و الاجتماعية من منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر ( 1701 – 1830 )** ، مذكرة ماجستير ،جامعة معسكر .

5.الغالي الغربي: **الانتفاضات الشعبية في الجزائر منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى الاحتلال** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985.

**قائمة المجلات والدوريات :**

1.الأنكادي يوسف، ونور الدين المودان :**المفاهيم ديمغرافية :الحدث الديمغرافي والطاهرة الديمغرافية** ،مجلة كنانيش ،العدد 03.

2.بلحميسي مولاي :**الثورة على الأتراك في الجزائر**، شواهد مشتقات من رسائل إسبانية منشورة، الثقافة ،عدد 48 ،1978.

3.التميمي عبد الجليل : **الخلفية الدينية للصراع الاسباني – العثماني على الإيالات المغربية في القرن السادس عشر** – المجلة التاريخية المغربية – العدد 11/10 1978.

4.سعيدوني ناصر الدين: **المرأة التركية الوارثة للتقاليد الوطنية و الإسلامية** ، مجلة الأصالة ، العدد 46-47.(د-د-ن).1987.

5.سعيدوني ناصر الدين: **ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي و الانتفاضة الشعبية** ،الثقافة، عدد 78 ، الجزائر ،1983 .

6.صباغ ليلى: **ثورة مسلمي غرناطة عام 1976 أواخر عام 1568 و الدولة العثمانية**، مجلة الأصالة، العدد 27، 1975 .

7.موساوي فلة القشاعي : **وباء الطاعون في الجزائر العثمانية** ، مجلة دراسات إنسانية ، كلية العلوم الإنسانية ، عدد 1 ، (د – م) 2001 .

**قائمة المرجع بالغة الأجنبية :**

1.Berbrugger. A . : **Charte des hopitaux chrétiens en 1694**.in R.A.N°08 Alger .1864

2. Boyer(P): **l'évolution de l'Algérie médiane de 1830à 1956**, libraire Paris : d'Amérique et d'orient, 1960.

3. Haedo F.D.: **Topographie et Histoire d'Alger،trad** .de L'Espagnal.par Berbrugger (A) et Monnereau in R.AN14-15.Alger 1870 .

4. HAEDO F. D: **Histoire des rois d'Alger**, trad. De l'Espagnol par H. Delamas De Grammont, éd. Grand Alger Livre, Alger 2004

5.klein . H:**Feuillets d'EL–Djezair** .éd. Dutell. Blida ،2003

6. Lamarque(L) : **Recherches historiques sur la Médecine dans la régence d'Alger** , imp Baconnier , Alger , 1951.

7. Picard : **Hygiene et patologie Nord Africaines** , $T_2$ , in : collection du centenaire de l'Algérie(1830-1930),.

8. Shaw(Dr ): **voyage dans la régence d'Alger**, traduit de l'Anglais par J.Mac.Carthy, 2$^{em}$ éd, Tunis 1980

# الفهرس

| | |
|---|---|
| شكر و عرفان | |
| إهداء | |
| مقدمة | أ.ب.ت.ث |
| مدخل :أوضاع الجزائر قبيل التواجد العثماني | 07 |
| الفصل الأول : الحالة الصحية في الجزائر خلال العهد العثماني | |
| *أولا : الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني* | 14 |
| 1. مرض الحمى | 14 |
| 2. داء العيون و مرض الجدري | 16 |
| 3. أمراض أخرى | 17 |
| 4. مرض الطاعون | 20 |
| ثانيا : مصادر الأوبئة و انعكاساتها في الجزائر خلال العهد العثماني | 22 |
| 1. مصادر الأوبئة و طرق انتشارها | 22 |
| 2. انعكاسات الوباء على الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية | 27 |
| ثالثا : الهياكل الصحية | 30 |
| 1. الأطباء | 30 |
| 2. المعرفة الطبية و الأدوية | 32 |
| 3. المستشفيات و الصيدليات | 35 |
| الفصل الثاني : الأوضاع المعيشية للجزائر خلال العهد العثماني | |
| أولا : الأوضاع الاقتصادية | 39 |
| 1. المجال الزراعي | 39 |
| 2. المجال الصناعي | 41 |
| 3. المجال التجاري | 44 |
| ثانيا : الأوضاع الاجتماعية | 53.46 |
| ثالثا : مستوى المعيشة | 54 |
| 1. الضرائب | 54 |

| | |
|---|---|
| 2. الأجور | 58 |
| الفصل الثالث: المجـاعـــات عوامـــلهـــا وعـواقبـهـا | |
| أولا : عوامل الطبيعية المسببة للمجاعات | 62 |
| 1. الجراد | 62 |
| 2. الجفاف | 64 |
| 3. الزلازل | 65 |
| 4. الفيضانات والحرائق | 67 |
| ثانيا :العوامل البشرية المسببة للمجاعات | 68 |
| 1. على الصعيد الداخلي | 68 |
| 2. على الصعيد الخارجي | 75 |
| ثالثا : أهم المجاعات في الجزائر وانعكاساتها على الوضع الديمغرافي | 78 |
| 1. أهم المجاعات | 78 |
| 2. انعكاسات المجاعات على الوضع الديمغرافي | 81 |
| خاتمة | 88.87 |
| قائمة المصادر و المراجع | 96.90 |
| الفهرس | 99.98 |